2 me Année,No . 29

Lundi-22-1-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العدد التاسع والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين ٦ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٢ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العدد

صفحة	
٣	من احاديث العيد : الدكتور طه حسين
٥	لحظات التجلى : الاستاذ احمد امين
٧	حنجرة : الدكتور محمد عوض محمد
٩	الحركة الوطنية الاشتراكية : الاستاذ محمد عبد الله عنان
١٢	الفن المصري القديم : احمد يوسف
١٣	مقدمة الاعاصير . عبد المنعم خلاف
١٧	ابرة المغناطيس : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٨	الجمال الطبيعى والفنى : بشير الشريقى
١٩	الحقيقة ... والخيز : الاستاذ على الطنطاوي
٢٢	صورة خالدة : لسعد اطلس
٢٣	التعليم العالى للنساء : الآنسة انعام فهمى
٢٥	القاضى واضع علم اصول الفقه : الاستاذ مصطفى عبد الرازق
٢٧	صفى الدين الحلى : ضياء الريس
٣٠	النشيد : على محمود طه
٣٠	لو امكننى فرصة : حسن قريد
٣١	ابليس : جميل صدقى الزهاوى
٣١	ذكريات فى الجزيرة : الحاج محمد الهراوى
٣٣	بين الموسيقى الشرقية والغربية : مدحت عاصم
٣٥	جراحة المخ : الدكتور احمد زكى
٣٩	نشيد الكرنك : الاستاذ محمد فريد ابو حديد

من أحاديث العيد ...

للدكتور طه حسين

ابتسم الصبح فابتسمت معه الثغور ، وأشرقت الشمس فأشرقت معها الوجوه ، وغنت الطير فتغنت معها نفوس بالآمال والأماني وبالاهواء والميول ، وتغنت معهـا نفوس اخرى بالأحزان اللاذعة ، والآلام المضنية ، والعواطف التى تفطر القلوب وتسفح الدموع . واندفع قوم الى السرور العريض ، واندفع قوم آخرون الى الحزن العميق ، وتردد قوم بين هذا وذاك يأخذون من كليهما بحظ معتدل ، ويؤلفون لانفسهم منهما مزاجا لاهو بالمشرق المبتهج ، ولا هو بالمظلم القاتم ، وانما هو شيء بين ذاك ، فيه مكان للذة والأمل ، وفيه مكان للالم والذكرى . واضطرب الناس أيام العيد بين دور الاحياء ودور الموتى ، يتحدثون الى أولئك ويفكرون فى هؤلاء .

وكثير من حديث الناس الى الاحياء ، وكثير من حديثهم عن الموتى ، خليق أن يسجل ويتخذ موضوعا لألوان مختلفة من الادب والفن . ولكن هذه الاحاديث تقبل مع أيام العيد ، وتذهب معها كأنها لم تكن . تترك آثارها فى نفوس الناس ولكنها لاتترك آثارها فيما ينشئون ويكتبون . لأنهم لاينشئون ولا يكتبون ، ولأنهم ان أنشأوا أو كتبوا فقلما يقفون عند مايشعرون أو يجدون ، انما يلتمسون موضوعاتهم فى السماء حينا ، وفى السحاب حينا ، وبعيدا

عن حياتهم انما . فان مسواحياتهم فهم لايمسون الا ظاهرا منها، وهم يمسونه فى رفق أقرب الى الجذب المؤنس منه الى الخصب الذى يحيى النفوس ويغذو القلوب

اما انا فقد كنت اتحدث الى نفسى والى اصدقائى فى أيام العيد احاديث مختلفة ،منها الباسم ومنها العابس ،فيها الجد وفيها الهزل . ولكنى كنت احتفظ لنفسى باشد هذه الاحاديث مرارة ولذعا .لانى أعلم ان الناس يكرهون فى أيام العيد وفى غير ايام العيد مرارة الحزن ولذع الألم . وأشهد لقد استقبلت يوم العيد بحزن عميق لأنى استعرضت صورا تعودت ان استعرضها كلما اقبلت الاعياد، وفكرت فيمن ازوره ويزورنى ، وفيمن اسعى اليه ويسعى الى،فاذا كثير من هذه الصور قد محى من صفحة الحياة ،ولم يبق له اثر رسم فى صفحة القلب ،قوى عندقوم ،ضعيف ضئيل عند قوم آخرين. محيت هذه الصور من صفحة الحياة فلن اسعى الى أصحابها ،ولن يسعى اصحابها الى ، إما لأن أصحابها قد نقلوا من هذه الدار التى نضطرب فيها بالألم والأمل الى دار اخرى ، لانعرف الحركة ولا الاضطراب، وإما لأن اصحابها مايزالون يضطربون معنا فى هذه الدار ،ولكن ظروف الحياة واسباب العيش قد نقلت اهواءهم عنا الى قوم آخرين ليسوا منا ولسنا منهم الآن فى شىء .لقد كنت أبدأ زيارات العيد بهؤلاء النفر من الأصدقاء الأعزاء أكون معهم ليلة العيد ، فاذا تنفس الصبح فكرت فيهم ، واذا ارتفع الضحى سعيت إليهم .فلقيتهم وكأنا لم نلتق منذ دهر طويل، وقضيت معهم ساعة قصيرة ضيقة لم أفرغ لهم فيها ،ولم يفرغوا لى لكثرة المقبلين والمنصرفين ،ولكنها على ذلك ساعة عريضة خصبة لكثرة مافيها من هذا الود الذى يتنقل الى قلبك مريحا عذبا لالشىء الا لأن اليد صافحت اليد ، ولأن التحية الهادئة البريئة من التكلف قد مست الاذن فملأت النفس حياة وغبطة وسرورا . فاذا قضيت مع هؤلاء الاصدقاء هذه اللحظة القصيرة الخصبة خرجت من عندهم وقد ادخرت من الغبطة والسعادة مايعينى على احتمال اثقال العيد .فذهبت الى دار عدلى ثم الى دار ثروت ثم الى دار فلان وفلان . وقد اخذت الايام تتخطف هؤلاء الناس واحدا واحدا حتى لقد زرت هؤلاء الاصدقاء فقضيت معهم ماقضيت من الوقت ، ثم خرجت فاذا انا انصرف الى كوكب الشرق لا الى دار عدلى ولا الى دار ثروت ولا الى دار فلان وفلان من اولئك الذين كنت احب ان اسعى اليهم واغتبط حين يسعون الى اوحين يرسلون الى تحياتهم مع البريد . وكنت لاأكاد اتهيأ للخروج يوم العيد حتى ينبئنى المنبئون بأن فلانا وفلانا من الاصدقاء قد اقبلوا وهم ينتظرون، منهم من يريد ان يبدأ العيد بلقائى لأن لقائى كان احب شىء اليه يوم العيد ، ومنهم من يريد ان يهنئنى فى زيارات العيد لأنه يجد فى هذه الصحبة لذة ويسرا .فاما الآن فأنى أنبأ بأن قوما آخرين قد اقبلوا وبأنهم ينتظرون ،أما أولئك الذين كانوا يقبلون وينتظرون فقد انقطع اقبالهم وانقطع انتظارهم الى حين،لانهم يخشون الاحداث ويخافون الظروف ويشفقون من الجواسيس ويربأون بأنفسهم عن غضب السلطان . هم احياء ولكن ظروف الحياة قد قطعت ما بينهم وبينى من الاسباب ، كما ان ظروف الموت قد قطعت مابين الموتى وبينى من الاسباب . ولم تكن ايام العيد تنقضى حتى ازور دارا من الدور فى ناحية من نواحى القاهرة فالقى فيها ابتسام الزهرة النضرة ،والشباب الغض،والحياة التى تبتسم للحياة. وقد انقضت ايام هذا العيد فلم ازر هذه الدار لانها محزونة لاتحتفل بالعيد،ولأن زهرتها النضرة قد اجتثت منها اجتثاثا،وانتزعت منها انتزاعا ،وحملتها الريح الى حيث لاينضر الزهر ولاتبتسم الحياة للحياة .

لم أزر هذه الدار ولم اتم بتلك الابتسامة ولم اسمع ذلك الحديث، ولكن الله يشهد انى قضيت ايام العيد كلها ،ويظهر انى سأقضى اياما طويلة اخرى وان صوتا من الاصوات سيتردد فى نفسى جافا خشنا متعثرا موئسا كما تتردد النغمة من الانغام فى القطعة الطويلة من الموسيقى، وتسألنى عن هذا الصوت الذى تردد فى نفسى منذ اشهر وسيتردد فيها اشهرا واشهرا واعواما ، فهو صوت ذلك النعش حين خرج الحاملون به من الصلاة فى مسجد من مساجد القاهرة وهم يعالجون اثباته على سيارة من سيارات الموتى وهو يأبى عليهم بعض الاباء. ثم يطيعهم ويستسلم لهم ، واذا خشبة جافة كأقفال الباب ، واذا النعش قد استقر ، واذا ازيز ضئيل نحيل يرتفع فى الميدان ثم يتسع ويضخم ، واذا السيارة تنطلق كأنها السهم الى ذلك المكان الذى لايعود منه من استقر فيه . واذا نحن تبعها كاسفين ونعود كاسفين ،واذا الحياة تتصل بنا وتضطرب خطوبها حولنا، وتصرفنا عن انفسنا وعن الناس ،ولكن ذلك الصوت الجاف الخشن المتعثر يعود الى من حين الى حين فيذكرنى بذلك

(البقية على صفحة ٤٣)

لحظات التجلي

للاستاذ احمد امين

لكل انسان ـ وخاصة العقليين والروحانيين ـ لحظات تضيء فيها نفوسهم، حتى كأنها المرآة الصافية، أو الشعلة المتقدة، كل جانب فيها مضيء، وكل العالم منعكس عليها، يراه فيها كما يرى السماء في الماء.

يحس بهذا الاديب، فتراه حينا وقد غزرت معانيه وتدفقت عليه من كل جانب، حتى ليحار في الاختيار، ماذا يأخذ وماذا يذر، وبم يفضل بعضها على بعض، وحتى كأنه يغترف من بحر، أو يملي عن حفظ، ويصدر عنه اذ ذاك القول السلس والمعاني الغزيرة، والشعر المتدفق، هذه اللحظات عنده هي « لحظات التجلي »، وتأتي عليه أوقات وقد جمدت قريحته، وأجدب فكره، يعاني في البحث ما يعاني، ثم لا يأتي الا بجماة وقليل ماء، ويصعب عليه القول كأنه يمتح من بئر، أو يستنبط من صخر، وقد عبر الفرزدق عن هذا المعنى فقال « أنا أشعر تميم، وربما أتت عليّ ساعة ونزع ضرس أسهل عليّ من قول بيت» ونتاجه في مثل هذه اللحظات بارد جاف، لا يستسيغه الذوق، ولا تألفه الروح، اشبه شيء بقطع الجلاميد، وبأجذال الحطب

ويحس بهذا الفيلسوف، فيشعر بلحظات تنكشف فيها حقيقة هذا العالم، فيراها ويستلذها، ويود ان تدوم، بل يود أن تعاوده الى بعد الفينة، ويتمنى ان يشتري عودتها بكل ماملك، وينفق في ساعة منها كل متع الحياة الدنيا، يشعر في هذه اللحظات بذكاء في الفهم، وصفاء في النفس، ولطافة في الحس، تكفيه في فهم هذا العالم الاشارة، وتجزئه الايماءة، يستشف العالم من وراء مظهره، ويلمحه من رموزه، ويشعر اذ ذاك بسمو في العقل، ورقي في الروح، لا يعدل لذتهما شيء في الحياة ثم تذهب عنه لحظات التجلي على الرغم منه، فاذا به في بعض أوقاته مظلم الحس، متخلف الذهن، بليد البصيرة، لا يتنبه للحن، ولا يفطن لمغزى، تستعجم عليه المدارك الظاهرة، وتخفى عليه الاشباح الماثلة. وتختلف لحظات التجلي عند الفلاسفة والصوفية كثرة وقلة، كما يختلف مدى التجلي بعداً وقربا، حتى ليحكى عن افلوطين، الفيلسوف الروحاني المشهور أنه حظي بهذه اللحظات بضع مرات في حياته، وحظي بها تلميذه « فورفوريوس » مرة واحدة

وتعرض للفنان فيلهم معنى يصوره بريشته أو يوقع به على قيثارته، فثم الابداع والجمال الرائع، والحسن البارع، ذاك يملأ العين حسنا بصورته، وهذا يملأ السمع والقلب عذوبة بنغمته، ثم تأتي على هذا وذاك أوقات ينضب فيها معينهما، ويفتر عنهما وحيهما.

وترى العالم من رياضي وطبيعي وكيماوي، يرزق أحدهم الحظوة بلحظة من هذه اللحظات، يلهم فيها فكرة يكون من ورائها مخترع عجيب، أو استكشاف خطير، عرض له أثناء بحثه، وقد لا تكون هناك علاقة ما بين ما يبحث فيه وبين ما ألهمه، بل لا تكون هناك مقدمات منطقية مطلقا لما ألهم، ويقف العلم حائراً لا يستطيع أن يعلل كيف نشأت في ذهن هذا العالم تلك الفكرة، وكيف فطن لها، بل يحار المستكشف نفسه كيف عرضت له وكيف ألهم بها

وبعد فهل يمكن أن نضع قوانين لهذه اللحظات، وهل هناك عوامل معروفة اذا استوفيت أمكننا اقتناؤها والحظوة بها؟ وهل يمكن أن تجمع هذه الشروط في زر كهربائي أو زر روحاني نفتحه فتتفتح علينا لحظات التجلي إن شئنا؟

لو استطعنا هذا لتضاعف الانتاج الادبي والعلمي في هذا العالم أضعافا مضاعفة، ولسهل على الاديب أن يستوفي الشروط فما هو الا أن يمسك بقلمه فيغزر ماؤه، ويسيل أريه، وتنثال عليه الألفاظ والمعاني انثيالا

لقد حاولوا من قديم أن يستكشفوا قوانين « التجلى » فقالوا ان مما يعين عليه جودة الغذاء ، وفراغ البال من هموم الحياة ، وصحة البدن ، وطمأنينة النفس ، واستعانوا على نيل لحظات التجلى بمختلف الألوان ، فقد قيل لكثير عزة يا أبا صخر ، كيف تصنع اذا عسر عليك قول الشعر؟ قال أطوف فى الرباع المخلية ، والرياض المعشبة ، فيسهل على أرضه ، ويسرع الىّ احسنه ، وقال الاحوص

وأشرفتُ فى نشز من الارض يافـــع

وقد تشعف الايفاع من كان مقصدا (١)

ولجأ الأدباء من قديم الى الأزهار والرياض ، والمياه الجارية والمناظر الجميلة ، كما لجأ بعضهم الى الخمر يستلهمها ويستوحيها ، وتكاد تكون لكل أديب عادة يرى أنها علة غزارته ، ومفتاح انتاجه ، وأنه يستمد منها معظم الافكار ، ويستمنح بها الاف من المعانى . ولكن هل نجحت كل هذه المحاولات فى استكشاف قوانين التجلى . ؟ أظن أن نظرة بسيطة تكفى للقول بأنها لم تنجح ، فقد تستوفى كل الشروط التى قالوها ، فالصحة فى أجود حالاتها ، والغذاء خير غذاء ، والكاتب أو الشاعر مطمئن النفس . هادىء البال ، بين الرياض المزهرة ، والمياه الجارية ، والوجوه الناضرة ، وهو مع هذا أجدب ما يكون قريحة . وأنضب ما يكون معينا ، ثم هو يكون على العكس من ذلك كله فيواتيه شيطانه ، وتتزاحم فى صدره المعانى ، وتتبارى على قلمه الآراء والافكار والالفاظ

ثم هذا أديب أو شاعر يجود قوله وتتجلى نفسه ، فى الاماكن الخالية والسكون العميق ، وذاك لا يتأتى له هذا الموقف إلا فى الأوساط الصاخبة والحركة المائجة . وأديب لا ينتج الا اذا امتلأ جيبه واطمأنت نفســـه لحاجات الحياة ، على حين أن الآخر لا يجد الا اذا فرغ وطابه . وعضه الفقر بنابه ، وتكاثرت عليه الهموم .

فأين قوانين التجلى اذا كان يحدث فى البيئـــ ـددا ، والظروف وعكسها ؟ قد تكون كل المظاهر وكل ما يحيط بالنفس يؤذن بحال انقباض وجمود ، واذا النفس مع ذلك فياضة جياشة متجلية ، وقد تكون المظاهر كلها تدل على نفس متفتحة للعمل ، مليئة بالفكر فاذا هى جدبة منقبضة ، وترى الآراء القيمة والمعانى السامية قد تنبع من بيئة قاتمة . ونفس مظلمة كما تخرج الزهرة من طين ، أو كما يخرج الذهب من الرمال ، والحرير من الدود ، وقد حكى لنا من أدباء أخرجوا روايات هزلية تستخرج الضحك من أعماق القلب وحالتهم النفسية وقت تأليفها كان يسودها الحزن ، ويشيع فى جوانبها الالم والبؤس

أخشى ان يكون الذين قد وضعوا هذه القوانين وأمثالها للحظات التجلى قد تسرعوا فى وضعها ، فالانسان معقد كل التعقيد ، ولئن كان جسمه معقدا مرة ففسه وروحانيته وعقله معقدة الف مرة بل آلاف ، وإن العوامل التى تؤثر فى نفسه وروحانيته ليست الحالة البدنية ، ولا الغذاء الصالح ، ولا المناظر الجميلة ، ولا الغنى والفقر وحدها ، بل هناك عوامل أدق وأعمق وأغمض ، ان الانسان لا يعيش فى بدنه وحده ، ولا فى محيطه فقط ، بل إنه ليعيش فى أصدقائه الأقربين والأبعدين ، وإنه ليعيش فى آبائه الذين كانوا وماتوا ، وانه ليعيش فى ذريته الذين كانوا وسيكونون ، وانه ليعيش فى أحلامه وآلامه وآماله ، ويعيش فى شبكات من تموجات نفسية دونها بمراحل شبكات التلغرافات والتليفونات ، وتتسلط عليه أنواع من الأشعة لاعداد لها

لعلنا لا نستطيع أن نستكشف قوانين التجلى الا إذا عرفنا نوع النفس التى تتلقى هذه الأشعة ، وعلمنا كل هذه المؤثرات ، وهيهات!!

احمد امين .

(١) اليافع : المرتفع ، وشعفته الايفاع حركت نفسه وهاجت عواطفه والمقصد من أهل القصائد

حنجرة

للدكتور محمد عوض محمد

أشهد ان الطبيعة قد تمنح ، فتسرف فى المنح ، وتعطى فتجزل العطاء وتنسى نفسها أحيانا ، فتكيل السعادة لمن رضيت عنه بمكيال هائل، وتبذير منقطع النظير . وكان ذلك شأنها يوم أفرغت على الرجل العجيب (أنطون سو كيلوف) أسجال الهبات : بأن منحته تلك الحنجرة الثمينة الرائعة !

أجل وان المرء لتأخذه الدهشة عن يمينه وشماله، ومن ورائه وأمامه ، ومن فوقه ومن تحته ، حين يفكر فى الوسائل المختلفه العديدة ، التى تتوسل بها الآلهة ، لكى ترفع من تحبه على الناس درجات ، وتحلق به فى ملكوت السموات : — ترضى عن هذا فتمنحه المال عن وفر وعن سعة ، وتحب هذه فتكسوها أثواب الجمال: ثوبا فوق ثوب — كأنها ورق الكرنب — ويحلو للآلهة ان تنعم على ذاك فاذا هو ذو وجاه عريض طويل، عميق غليظ.

ولكن أغرب شىء تهبه الالهة هو من غير شك — تلك الميزات الجسدية : تلك القطع من اللحم والعظم والغضروف والجلد — يجرى فيها الدم احيانا ؛ وأحيانا لا يرى فيها دم مطلقا . وطورا يكسوها الشعر ، وكثيرا ما تكون صلعات عارية من الشعر — تلك الاجزاء الجثمانية ؛ التى يحسبها الجهال من مصادفات الولادة ، أو من غلطات الولادة، وفى الواقع وفى الحق هى السر الباتع الذى يحرك الفلك، وتدور لها الكرة الارضية من الغرب الى الشرق.

وما على الذى يشك فى صحة هذه الدعوى ، او يريد ان يتهمنا بالغلو والمبالغة ، إلا ان يلقى نظرة يسيرة على التاريخ المكتوب وغير المكتوب ، ويكفى ان يلقى النظرة على عجل وهو مغمض العينين ، ليرى كم من صلعة لامعة قد ساست الممالك ، ودوخت الجيوش ، وكم من ذقن غليظ استطاع اخضاع الاقطار وتسخير كل جبّار . وهانحن نسوق للقارىء أمثلة لا تحتمل الشك أو الانكار .

هذه كيلوباطره ! بأى سلاح وبأية قوة استطاعت ان تخضع يوليوس قيصر ، وتلفه حول إصبعها الخنصر ؟ أبالقنابل والاساطيل ؟ أما بالجيوش والدبابات؟ أم بالغازات الخانقة وغير الخانقة ؟ لا بهذى — لعمرك — ولا بتلك . بل بقطعة أنف مستدق مستطيل : خارت أمامها عزمة العاهل الرومانى الهائل ، الذى فتح الغال وبلاد الاسبان واستولى حتى على بريطانيا العظمى — التى لم تكن عظمى فى ذلك الوقت .

ثم شمشون : الجبار شمشون ، الذى استطاع أن يقتل ألفا من الفلسطيّين وما بيده سلاح سوى عظمة الفك الاسفل لحمار تفَقَ حديثا، والذى استطاع أن يقبض على العمودين اللذين يمسكان الهيكل الأكبر — وقد احتشد فيه أعداؤه آلافا مؤلفة — أمسك عموداً باليمين ، وعموداً بالشمال . ثم مال بالعمودين وهو يقول : « على وعليهم يارب ! » فاذا الهيكل يتداعى والسقف ينقض بمن عليه ، والبناء يندك بمن فيه . واذا الآلاف المؤلفة تقبر ، بما فيهم دليلة الخائنة الماكرة !

ألا رحم الله شمشون ! أنّى جاءته كل هذه القوة وهذا الجبروت ؟ ذلك هو السر الخطير ، الذى أدلى به الى دليلة الخائنة ، حين أنبأها أن قواه كلها كامنة فى تلك الشعرات التى نبتت فى رأسه كما تنبت الاشعة فى رأس الشمس .

وهكذا كان عضو بسيط من أعضاء الجسم سبباً فى تحويل سطح الأرض ، وفى قلب مجرى التاريخ . . .

اذن لماذا نعجب من أن الآلهة حينما ارادت أن تغدق النعم على (أنطون) لم تزد على أن وهبته حنجرة ؟ . لم تهبه مالا ولا عقلا ، ولا ذكاء ولا فهما ، ولا طرفا ناعسا ، ولا وجها وسيما . بل كل ما منحته وحبته به : حنجرة .

***

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكا هماما

هذا جائز فى عصام المذكور . أما (أنطون سوكيلوف) فلم تكن له نفس تستحق الذكر ، ولم يكن شجاعا ولا هماما ولا يعرف كرّا ولا إقداما . ولم يكن صاحب علم ولا جاه ، بل صاحب حنجرة فحسب . يملكها وتملكه ، وليس له من حطام الدنيا شيء سواها ، وليس لها من حطام الدنيا شيء سواه وكانت هى سر سعادته ؛ واستطاع هو أيضا أن يجعلها سعيدة مُنَعَّمَةً .

ليس على فضل الاله من حَرَجْ
ان شاء ضاق الأمرُ ، أو شاء انفرجْ
ويدرك العلياءَ من به عَرَجْ
وترتقى حنجرةٌ أعلى الدَّرَجْ !!

* * *

ان سر النجاح فى الحياة هو ماقاله سقراط : ان تعرف نفسك . وهكذا فعل انطون . فقد خلا الى نفسه يوما ، وجعل يجهد فكره الكليل فى معرفتها ، وفى الكشف عن أمرها . لعله ان يرى فى ركن من أركانها كنزا مخبوءا ، أو قوة مدفونة . فهداه طول التفكير ، والتدبير الكثير ، الى ان له حنجرة ليس لها فى العالم نظير . أجل وانها لجديرة بأن ترفعه ويرفعها الى المقام الاسمى والسّماك الاعلى . وان ينفض بواسطتها غبار الفاقه الذى يوشك ان يقبره ويقبرها .

وكانت ساعة إلهام أدرك فيها أنطون أن برلمان انكلتره — أبو البرلمانات جميعاً — هو ميدانه الوحيد وميدان حنجرته العزيزة . . . عجبا كيف لم يرق الى هذا الكشف الهائل من قبل ، فيقضى على عيش الضنك والفقر الذى لازمه طوال هذه السنين ؟

* * *

وفى مساء ذلك اليوم الخطير كان أنطون جالسا — وحنجرته — إلى رئيس (المحافظين) يحدثه حديثا شائقا طليا . والصوت يدوى من حنجرته دويا — ولولا أن الريح فى ذلك المساء كانت تهب من الجنوب ، لسمع أهل فرنسا صدى تلك الحنجرة تنبىء الساكنين على ضفاف السين . أن على ضفاف التامز رجالا .

وأدرك رئيس المحافظين — ويا سرعان ما أدرك ! — أى كنز قد ظفر به ، وأى ذخر ثمين قد قدمته الآلهة له ولحزبه ! انهم بفضل هذه الحنجرة الرَّعْدِيَّة لن يلبثوا طويلا حتى يتربعوا على دست الحكم ، ويتحكموا فى الدولة التى لا تغرب عليها الشمس .

ولم يبرح أنطون مجلس الرئيس إلا وقد حمل فى صدره — وفى جيبه — ألف دليل على أن نجم نحسه قد أودع بطن الثرى وأن نجم سعده قد أشرق فى السماء لامعا صاعدا

* * *

كان أنطون من رعايا الروس ، وقد حاول السنين الطوال أن ينال الجنسية البريطانيه ، فلم تلق جهوده الا الفشل . ان الجنسية البريطانية أجل وأثمن من أن تمنح للصعاليك أمثاله أما اليوم فقد جاءته تلك الجنسية تجرر أذيالها ، وهى تمشى على استحياء ، تَزَلَّتْ عليه من المحل الأرفع من بعد طول تَعَزُّزٍ وتَمَنُّعٍ ،

وفتحت بين يديه نوادى المحافظين ، المفرطين فى فى ارستقراطيتهم ، وفى عزلتهم . فجعل ينشاد امام وحنجرته التى كان صداها يدوى فى تلك الحجرات الهائلة ، فتملىء بها الآذان وتميل نحوها الاعناق .

ولم تمض أسابيع قلائل حتى أخليت له دائرة من دوائر البرلمان ، وحتى أقسم يمين الطاعة للملك ولدستور الدولة العظمى التى قلما تغرب الشمس عليها .

هنالك بدأت معجزته الطائلة تقرع الاسماع ، وتأتى بكل إبداع ، يوم تبوأ مقعده فى (وستمنستر) وقذف على الحنجرة العزيزة كوفية من الدمقس الخالص ، برّأ بها ، وعطفاً عليها . وهى بهذا لعمرى جديرة بعد أن أصبحت ينبوع ثورة ، ومبعث قوة وصولة ، ورشاد حزب ودولة .

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٤ — البرنامج الخارجي فى طور التنفيذ

للاستاذ محمد عبد الله عنان

لم يكن أثر الثورة الوطنية الاشتراكيه الالمانية فى سياسة المانيا الخارجية أقل منه فى شئونها الداخلية . ولكن الثورة الوطنية كانت فى ميدان السياسة الخارجية اكثر توفيقا ، لانها الفت الميدان عند قيامها ممهداً صالحا للعمل القوى الجرىء ، ولان الشعب الالمانى يرى المسألة الخارجية مسألة قومية محضة ويؤيد الثورة الوطنية فيها تأييدا قويا صادقا . على أن هذا التوفيق الذى لقيته الوطنية الاشتراكية فى بعض نواحى السياسه الخارجية كان مقرونا من جهة أخرى بتطورات ونتائج لم تكن فى صالح المانيا ، ولكنها كانت نتيجة لما ابدته الوطنية الاشتراكية فى وسائلها من ضروب العنف والاندفاع

تولى الوطنيون الاشتراكيون الحكم والمانيا مازالت من الوجهة الدولية فى المركز الذى وضعت فيه بمقتضى معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وهو مركز لايجعلها على قدم المساواة مع باقى الدول العظمى من حيث الحرية فى تدبير وسائل الدفاع عن نفسها وتنظيم مواردها الاقتصادية طبقا لمصالحها ؛ وهو مركز يرى الوطنيون الاشتراكيون بحق انه لايليق بالمانيا كدولة عظمى ولا يلائم كرامتها القومية . وكانت المانيا تجاهد مذ دخلت عصبة الامم (فى سنه ١٩٢٦) فى سبيل الانتصاف لنفسها فى مسألة الدفاع القومى لانها جردت بمقتضى معاهدة الصلح من سلاحها ؛ وفى سبيل التحرر من اعباء التعويضات الفادحة التى فرضت عليها لأن هذه الاعباء لبثت بعد الذى ادته منها خطرا داهما على مواردها القومية ونشاطها الصناعى والتجارى ، ولانها فرضت على اساس مسئولية المانيا فى اثارة الحرب الكبرى ، وقد ثبت فيما بعد بما صدر من تحقيقات ووثائق دولية مختلفة ان هذا الزعم باطل ، وان مسئولية المانيا فى الحرب ليست اكثر من مسئولية غيرها . وقد سويت مسألة التعويضات غير مرة ، ولكن المانيا لبثت تصر على وجوب التحرر منها ؛ وقالت كلمتها الرسمية فى ذلك منذ سنة ١٩٣٢ فى عهد حكومة الهرفون بابن ، وانتهت جهودها فى هذا السبيل بعقد مؤتمر لوزان فى صيف سنة ١٩٣٢ ؛ وخرجت المانيا من المؤتمر ظافرة بتقرير وجهت نظرها ، ووافقت دول الحلفاء فى البروتوكول الذى عقده المؤتمر على مبدأ الغاء التعويض نظير قدر محدد تؤديه المانيا لايتجاوز عشر ماكان مطلوبا منها . والقت المانيا فى ذلك الحين ايضا دعوتها الى نزع السلاح الحقيقى طبقا لما نصت عليه معاهدة الصلح ؛ او انها تعمد من جانبها الى تسليح نفسها تحقيقا لمبدأ المساواة ومقتضيات الدفاع القومى

كانت مسألة التسليح اذن اهم مشكلة دولية تواجهها المانيا عند قيام الحكومة الوطنية الاشتراكية . ومسألة الدفاع القومى من اهم المسائل التى أثارتها الوطنية الاشتراكية وخصتها بكبير عنايتها . والوطنية الاشتراكية اشد ماتكون بغضا لمعاهدة فرساى واحتجاجا على نصوصها وفروضها الظالمة ؛ وهى تعتبرها مصدر كل مصائب المانيا ومتاعبها ، وترى وجوب الغائها او تعديلها على الاقل تعديلا يتفق مع كرامه المانيا وحاجاتها القومية . والمانيا تجاهد فى هذا السبيل منذ اعوام ؛ وقد استطاعت فى الواقع ان تظفر بتعديل كثير من نصوص المعاهدة ، ولكنها لم تستطع ان تحقق شيئا فى مسألة نزع السلاح والدفاع القومى

ولم يك إلا أن جالت هذه الحنجرة جولةً أو جولتين حتى سقط (الأحرار) المساكين ، صرعى لاحراك بهم ، وسقطت حكومتهم ، التى كانت تحسب أنها باقية على الدهر .

فاذا هى تندحر وتندثر وتمزّقُ كلَّ ممزّق .

ثم أذّنَ مؤذن بالانتخابات الجديدة للبرلمان الجديد ، فاذا حنجرة أنطون تكتسح كل شىء أمامها ، وتجوب البلاد من جنوبها الى شمالها ، فتندك أمامها المعاقل والحصون ، وتعنو لها الرقاب والأعناق . وتنجلى معارك الانتخاب عن فوز ساحق ماحق يفوزه المحافظون ، ويعودون الى البرلمان . يجرون ذيول التيه ، ويبرمون شوارب الخيلاء

وفى اليوم التالى غدا أنطون على شركات التأمين فامن على حنجرته بمائة ألف من الجنيهات .

إن الآلهة قد تمنح ، فتشرق فى المخ ، وتعطى فتجزل العطاء

ولألمانيا فى مسألة نزع السلاح نظرية تستمدها من معاهدة الصلح ذاتها . ذلك أن معاهدة الصلح قضت بتجريد ألمانيا من سلاحها ؛ وحددت جيشها العامل بمائة ألف ، وحصرت حقها فى انشاء الذخائر والأسلحة فى أضيق الحدود ، وحرمت عليها أنواع الأسلحة الضخمة ؛ وأنزلت أسطولها الى وحدة بحرية ضئيلة ؛ وحرمت عليها إنشاء الطيارات الحربية ؛ وقضت عليها بالغاء الخدمة العسكرية الاجبارية ، وحرمت عليها انشاء أية تحصينات على حدودها الغربية على بعد خمسين كيلومترا من شرق نهر الرين ؛ وغير ذلك من الفروض المرهقة التى تجعل ألمانيا من حيث الدفاع القومى أضعف من أية دولة ثانوية ؛ وتجعلها غير قادرة على الدفاع عن نفسها إزاء الطوارىء (معاهدة فرساى — القسم الخامس — المادة ١٤٩ وما بعدها) . ولكن ميثاق عصبة الأمم الذى هو قطعة من معاهدة الصلح ينص من جهة أخرى على أن أعضاء العصبة يعترفون بأن تأييد السلام يقتضى تخفيض التسليحات القومية إلى الحد الذى يتفق مع السلامة القومية وتنفيذ التعهدات الدولية . . . وعلى « أن مجلس العصبة ينظم وسائل هذا التخفيض » (المادة ٨) . ونص من جهة أخرى فى ديباجة القسم الخامس من المعاهدة وهو الخاص بتجريد ألمانيا من سلاحها ، أن هذا التجريد إنما هو وسيلة لتمكين تنظيم تحديد السلاح تحديداً عاما بالنسبة لجميع الأمم . وقد أنشأت عصبة الأمم لجنة نزع السلاح ومؤتمره منذ عشرة أعوام تنفيذاً لما يقضى به ميثاقها ؛ واشتركت ألمانيا فى أعمال مؤتمر نزع السلاح منذ دخولها فى العصبة ، وجاهدت بكل ما وسعت فى سبيل تخفيض السلاح ؛ ولكنها لم تظفر بأية نتيجة : لأن دول الحلفاء وفرنسا بنوع خاص ، لا تريد أن تجرى فى تسليحاتها أى تخفيض يذكر . ولهذا تقول ألمانيا اليوم إنه ما دام أن نصوص المعاهدة فى شأن تخفيض السلاح لم تنفذ ، وما دام أن تجريدها من السلاح كان مقروناً بوجوب اجراء هذا التخفيض ، فهى من جانبها فى حل من أن تسترد حقها كاملا فى تسليح نفسها وتنظيم دفاعها القومى . وهذا منطق سليم واضح ؛ ولألمانيا فيه كل الحق . ولكنه قوبل من فرنسا بأشد اعتراض ؛ وأبت فرنسا وبريطانيا العظمى على ألمانيا كل حق فى المساواة الفعلية فى التسليح ، واقترحتا وضع رقابة دولية على تسليحات ألمانيا . وأصرت ألمانيا على موقفها ورأت أن تختم هذا الجدل العقيم ؛ فانسحبت من مؤتمر نزع السلاح ومن عصبة الأمم فى منتصف اكتوبر الماضى . وكانت خطوة جريئة ولكن موفقة من جانب الحكومة الاشتراكية ؛ وكان لها أكبر وقع فى سير السياسة الدولية . وفى نفس اليوم الذى أقدمت فيه الحكومة الألمانية على هذه الخطوة الحاسمة ، استصدر هر هتلر مرسوماً بحل الريخستاج واجراء انتخابات جديدة ليستفتى الأمة فى سياسته الخارجية ؛ وأجريت هذه الانتخابات فى ١٢ نوفمبر الماضى وخرج منها هر هتلر بما يشبه اجماع الشعب الالمانى على تأييده فى العمل لاستعادة مركز ألمانيا الدولى كدولة عظمى والاعتراف لها بحق المساواة فى الدفاع القومى وسائر الحقوق القومية الاخرى . واضطرت فرنسا إزاء هذا التطور أن تدخل فى مفاوضات مباشرة مع ألمانيا لبحث الموقف . وتجرى هذه المفاوضات منذ أسابيع . وتحاول انجلترا وإيطاليا أن تقوما بدور الوساطة والتوفيق . وبينما تؤيد إيطاليا وجهة النظر الالمانية إذا بانجلترا تتراوح بين التأييد والمعارضة ، فهى لا تريد أن تبقى فرنسا محتفظة بزعامة أوربا العسكرية ؛ وتخشى من جهة أخرى ان تعود المانيا الى زعامتها العسكرية القديمة . وقد قدمت الحكومة الالمانية مقترحات فى هذا الشأن خلاصتها ان يرفع عدد الجيش الالمانى العامل الى ثلاثمائة الف ، وان تعاد الخدمة العسكرية ، وان يكون لالمانيا حق استعمال وسائل الدفاع المختلفة ، وان ينقح دستور عصبة الامم لكى تكون اداة صالحة محررة من كل ضغط ونفوذ . وقد ردت فرنسا برفض هذه المقترحات باعتبارها مناقضة لمعاهدة الصلح ؛ وقالت بان تسوية مسألة التسليح لا تكون بزيادته وانما تكون بتخفيضه ، وإن تخفيض السلاح لا يمكن ان ينظم الا فى جنيف وعلى يد عصبة الامم طبقا لمعاهدة الصلح ، وما زالت المفاوضات تجرى بين باريس وبرلين من جهة ، وبين لندن وباريس وروما من جهة أخرى ، ولكن الذى لاريب فيه هو ان المانيا قد كسبت أول مرحلة فى المعركة ، وانها تتقدم فى سبيل غايتها من تحطيم الاغلال التى فرضتها معاهدة فرساى على دفاعها القومى ، بل نعتقد أن المانيا قد بدأت تعمل فى هذا السبيل دون انتظار لرأى فرنسا وحلفائها

وتثير المانيا الى جانب مشكلة الدفاع القومى عدة مشاكل أخرى ترى انها تمس مصالحها القومية . من ذلك مسألة وادى السار الالمانى الذى انتزعته فرنسا لتستغل مناجمه الفنية حتى سنة ١٩٣٥ ؛ فألمانيا

تطالب برده او بجرى الاستفتاء المنصوص عليه فى المعاهدة ؛ ومنها مسألة المستعمرات الالمانية التى وزعت بين فرنسا وبريطانيا العظمى فالمانيا تطالب الآن بردها لانها تضيق بسكانها ومصالحها الاقتصادية الحيوية تقتضى ان يكون لها مستعمرات ؛ ومنها مسألة الممر البولونى الذى يمزق بروسيا الشرقية الى قسمين ، فالمانيا ترى انها لا تستطيع الصبر على هذا التمزيق الى الابد ، وان كانت اليوم على تفاهم مؤقت مع بولونيا.

* * *

على ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لم تكن موفقة فى ناحيتين خطيرتين من نواحى السياسة الخارجية ، هما المسألة النمسوية ، ومسألة العلائق الالمانية الروسية

فأما فى المسألة الأولى فقد حاولت الحكومة الالمانية أن تتدخل فى شئون النمسا بطرق شتى . ووجهت الوطنية الاشتراكية الالمانية إلى النمسا كثيراً من ضروب الوعيد والتحدى ، وحاولت أن تبث فيها دعوتها وأن تصبغها بصبغتها . ونذكر أن العمل على اتحاد الأمم الجرمانية من الغايات الاساسية التى ترمى إلى تحقيقها الوطنية الألمانية . والنمسا هى الامة الجرمانية المقصودة بهذا النص ، وهى ترتبط مع المانيا بكثير من الروابط الاقتصادية والاجتماعية . وكانت النمسا تضطرم من قبل بدعوة قوية إلى الاتحاد مع المانيا سياسياً واقتصادياً (Anschluss). ولهذا أرادت الوطنية الالمانية أن تقوم بمحاولتها الاولى فى سبيل هذا الاتحاد . ولكنها لجأت كعادتها الى الاندفاع والعنف ، وحاولت ان تعامل النمسا كدولة تابعة وان تملى عليها إرادتها ووحيها ، وان تثير فيها القلاقل والاضطراب ، وان تؤثر فيها بجميع وسائل الضغط والارغام . ولكن هذه السياسة القصيرة النظر اتت على عكس ما أريد بها . فقد أذكت فى الشعب النمسوى عواطف العزة القومية ، فنسى خلافاته الحزبية والتف حول حكومة المستشار دلفوس التى أبدت فى مقاومة الوطنية الالمانية حزما يثير الاعجاب وأعلنت النمسا ارادتها صريحة فى انها لا تريد أن تكون تابعة لحكومة برلين ، وقمعت الحكومة النمسوية كل شغب أثارته الدعوة الالمانية بمنتهى القوة وطاردت دعاة الوطنية الاشتراكية بلا رأفة ، وأنهارت فى الوقت نفسه دعوة الاتحاد (الآنشلوس) وتلاشت عنها أنصارها بعد أن رأوا ألمانيا تفسرها بالقضاء على الاستقلال النمسوى واستطاعت حكومة فينا أن تجعل من المشكلة النمسوية مشكلة دولية وأن تنظم تعضيد انجلترا وفرنسا وايطاليا فى الدفاع عن وجهة نظرها ضد ألمانيا

واما فى مسألة العلائق الروسية فقد ارتكبت الوطنية الاشتراكية الالمانية ايضا خطأ فادحا . وكانت المانيا منذ خاتمة الحرب تعمل دائما على توثيق صلاتها السياسية والتجارية بروسيا السوفيتية ، وتتخذ من هذه الصلات دعامة لسياستها الخارجية ؛ وكانت روسيا اعظم سوق للصناعات الالمانية بعد ان اغلقت فى وجهها الاسواق الغربية ؛ وكان التفاهم بين الدولتين محور التوازن السياسى فى اوربا الشرقية حيث تطوق المانيا بدولتين خصيمتين هما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا ، ولكن الوطنية الاشتراكية لم تراع هذه السياسة التقليدية ، ولم تفرق فى كفاحها للشيوعية بين الاعتبارات الداخلية والخارجية ، فالقيت تصريحات شديدة ضد روسيا السوفيتية من المستشار هتلر وبعض زملائه ، وردت الصحافة الروسية هذه الحملات بمثلها ؛ وكان لموقف حكومة برلين الجديدة وقع سيء فى حكومة موسكو ؛ وظهر أثر هذا التوتر فى علائق البلدين واضحا فى اتجاه السياسة الروسية الى وجهة جديدة . وانتهزت فرنسا هذه الفرصة فعملت على توثيق علائقها مع روسيا باتفاقات جديدة ؛ واعترفت الحكومة الامريكية لاول مرة بحكومة السوفيت . ونظمت المبادلات التجارية بين البلدين ؛ واتجهت بريطانيا العظمى الى توسيع نشاطها التجارى فى روسيا ؛ وفقدت المانيا بذلك دعامة سياسية قوية ومصالح اقتصادية خطيرة . كان فى وسع الوطنية الاشتراكية ان تحرص على علائق المانيا وروسيا من الوجهة الخارجية ، وان تمضى فى نفس الوقت فى كفاحها ضد الشيوعية داخل المانيا على نحو ما فعلت الفاشستية الايطالية . ولكن الظاهر ان الوطنية الاشتراكية الالمانية لم تعرف بعد ان تفرق بين نزعاتها الشخصية وبين مصالح المانيا العامة ، وانها لا تتمتع بذلك الاتزان الذى تمتاز به الفاشستية الايطالية رغم صرامتها

* * *

هذه خلاصة الظروف والادوار التى تقلبت فيها الوطنية الاشتراكية الالمانية . وهى لم تعمل حتى اليوم كثيرا لألمانيا ، ولكنها عملت كثيرا لاثارة الاحقاد الجنسية والقومية ، وسحق الديمقراطية والحريات العامة . وقد أثارت بذلك كثيرا من الخصومات على المانيا ، واساءت بوسائلها المثيرة الى هيبة المانيا وسمعتها ، وافقدتها كثيرا من العطف العالمى ، وجمعت كلمة الديمقراطية فى المانيا فى خصومة موحدة مشتركة ، وبدت الفاشستية الايطالية للعالم اليوم ، بعد الذى شهده من جموح الوطنية الاشتراكية الالمانية وعنفها ، اجدر بالتقدير والاغضاء والتسامح من وليدتها ؟

« تم البحث »

محمد عبد الله عنان

صحائف المجد والخلود

الفن المصرى القديم

— ١ —

تمهيد :

تؤلف الكتب ، وتحبر الاوراق ، يتبارى فى اخراجها ابناء الامة ذات الفن أو التاريخ . ومصر ، أم التاريخ ، التى نهل منها جميع الوجود ، ومصدر الفن ، والذى غذى بنعمته ونوره العالم من مبدأ الحياة . مصر ، التى هى البقعة الوحيدة التى هبط عليها طائر الفن الجميل ، ونزل على أرضها بوحى العظمة والعرفان ، أفقر الأمم جميعاً اعتزازاً بفنها وتاريخها .

وكم مجهود من مجهودات المصريين الحاضرين بذل فى سبيل تحقيق تلك الغاية وتمجيدها ؟ ! وكم هو عدد المؤلفات التى وضعتها أيد مصرية عن الفن المصرى القديم ؟ ! وهذه جهود الافرنج تملأ مصر بحثاً ودرساً ، وتغشى أرضها تنقيباً واستكشافاً . ثم هذه مؤلفاتهم عن الآثار المصرية وما فيها من فن وقدرة وجمال تغمر الدنيا جميعاً . بل إن فى متحفنا المصرى وحده مكتبة تجمع نحو تسعة عشر الفاً من بعض الكتب التى وضعت بلغات مختلفة عن آثار مصر .

الاجانب هنا وهناك ، هم الذين يأخذون وحدهم بشئون تاريخنا . وهم الجادون فى دراسة حضارتنا القديمة ، ينشرون ببحوثهم فيها على العالم ما كان لمصر فى التاريخ القديم من فضل . ونحن ، نحن الذين كنا أولى من غيرنا بتلك الدعاية ، وأجدر من كل الناس دراسة لآثارنا وأخذاً بمعالم تاريخنا ، لا نتقدم الى الميدان بأقصر يد . ولا تنهض للاعتزاز بمجدنا بأيسر حال .

أليس هذا من بواعث الأسف ؟ ثم ليست حالنا فى ذلك أدعى الى النقد والسخرية ؟

نعم هناك بعض جهود مصرية ، لا تنكرها . وبعض أياد وطنية ، على التاريخ المصرى ، لا يجب أن نجحد فضلها . ولكنها بضعة ضئيلة . أملنا أن تتجسم وتتضاعف ، حتى تفيض على الناس خيراً .

*

ولعلنا جميعاً ، نوقن فى أنفسنا بأننا مهما بذلنا فى خدمة وطننا الجهود ، ومهما ملأنا الأرض جداً وسعياً ، ووصلنا أركان القطر ذكريات وآثاراً ، فلن نبلغ الى غاية الخلود والعظمة ما بلغ أجدادنا المصريون القدماء ، الذين بهروا العالم اعجابا واعجازا

ولقد نفخر بهم ، ونعتز بمخلفاتهم ، ونشير اليهم كلما أعوزتنا الحقيقة الى اثبات شخصيتنا ، وأخذتنا النشوة بالتيه . نفخر بهم ، ونتحدث بمجدهم ، ولانخجل من انفسنا أن لايكون لنا ، نحن ابناء الحاضر ، فى ذلك فضل . بل نقف موقف الغراب الذى لبس ريش الطاووس فما كان ذلك يرفعه عن أن يظل غرابا . . .

أولئك الأجداد العظام النابهون ، لهم علينا ذمة ، ما أحرى بنا أن نفى دينها ، ونؤدى حقوقها . فهم لم يتركوا لنا ما تركوا ليلزمونا الفخر بهم جزافا ، ونحن قعود . ولكن لنكون جديرين بأن نرث عنهم ذلك المجد ، وبررة بجميل ذلك التراث الموهوب

فهذا لو نعمل جميعاً لوصل حلقات هذه العظمة ، واضعين نصب أعيننا دائما هذه العبارة الخالدة

إن سئلنا ماتركنا بعدهم ماذا نجيب ؟

مصدر الفنيات

كان فريق من علماء الغرب ينسبون الاسبقية فى تاريخ الفن الجميل الى الاغريق . وانها المصدر الذى تدرجت عنه ثقافات البشر وتلما كان يعترفون بفضل لمصر .

وبالرغم من ان البحوث الأثرية والاستكشافات قد نشرت على الافكار نوراً بأن الاغريق انما أخذت قسطاً كبيراً من ثقافتها عن مصر التى سبقت حضارتها حضارة الاغريق بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، فان بعض آراء المتعنتين نحو مصر ظلت الى حين ، على نكران فضل مصر وعدم اقتباس الامم عنها .

وقد يكفى ان تدلل على ذلك بتلك الكلمة النزيهة التى انصف بها مصر « السير دنيسون روس » (Sir E. Denison Ross) مدير مدرسة العلوم الشرقية بانجلترا ، فى الكتاب الذى قدمه علماء الانجليز الى حضرة صاحب الجلالة فؤاد الاول ملك مصر ، باسم « الفن المصرى فى جميع العصور » (The art of Egypt Through The Ages) والتى دحض بها تلك الآراء العتيقة . حيث قال :

« مصر هى مهد الفنون . ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى حتى يومنا هذا ، لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول للفنون على الحدس والتخمين . وكلما زدنا علماً باعمالها الجليلة تبين لنا ما تدين به الفنون المتأخرة لمصر ، وزاد جلاء . خذ مثلا الابحاث الاخيرة التى جرت فى صقارة ، فانها أثبتت نهائيا أن للعمود المزمارى (الذى يشبه الناى او المزمار) Fluted- Column انما تطور

ووضعت فكرته بواسطة الفنانين المصريين (١) ومن جهة اخرى فان تأثير مصر فى آراء البشر وأفكارهم ليس أقل شأنا من تأثيرها فى عالم الفنون ، وسجلاتها تعتبر أقدم كنز فى تاريخ الانسانية بأجمعها

« وحينما بدأت مصر تسترعى انتباه الغرب كان شارحو مدنيتها هم رجال اللغة والمؤرخون . وأما قيمة آثارها ، ومبانيها من معان ، فكانت من الأشياء التى تكاد لاتعرف . وقد حلت رموز الكتابة الهيروغليفية وقرئت . ولكن ماكان عندنا من تعصب موروث من ثقافتنا القديمة وتفكيرنا الحديث ، عاقنا عن أن نقدر فنا كهذا الفن ، كل مافيه غريب علينا . ولقد كان حتما على عالم الفنون أن يجاهد زمنا طويلا ، كى يتخلص من براثن الفكرة الاغريقية ، ويقترب من آثار القراعنة البديعة ، ويلقى عليها نظرة بريئة خالية من التحيز . »

وإليك كلمة اخرى للاميره بيبسكو (Princess Bibesco) وقد يذكر القراء اسم سموها حيث تردد ذكره فى مؤتمر الطيران الذى عقد بمصر اخيرا . وهى عقيلة رئيس المؤتمر — فى رسالة لها بعنوان « يوم مصر » (Jour d'Egypte) إذ قالت عند ذكرها للعمود المزمارى فى سقارة الذى سبق الكلام عنه :

« لقد وجدت مهد الفن الاغريقى . فان « إمحتب » وهو مهندس الملك « زوسر » أول من استعمل الحجارة الرملية فى مصر . وجاء بين كتابات المصريين القدماء أن هذا الفنان رفع الى صفوف الآلهة لقيامه ببناء الهياكل . وليس هناك مايدعو للدهشة فى ذلك ، لأن عليها مسحة قدسية ، ولأنها أجمل بكثير من تلك المشاهدة فى الاكروبول ، التى تشابهها . وقد تفوقها من أنها أتم تهذيبا . ويرجع تاريخ هذه الاعمدة المصرية الى ماقبل « فدياس » بثلاثين قرنا .

« وأنى لأحس ، عندما أنظر اليها ، بذلك الصلف الذى كان يركب رءوس من سبقونا . وهامصر قد فازت أخيرا بقصب السبق . أما هؤلاء الذين تحيزوا للفن الاغريقى ضد الفن المصرى ، فيجب أن يخفضوا رءوسهم من الخزى بعد استكشاف أعمدة صقارة »

(يتبع) احمد يوسف

بالمتحف المصري

(١) كان نوع هذا العمود منسوباً الى الاغريق — Doric Column — على انه من ابتكار ثقافتهم حتى استكشف أخيراً فى صقارة بواسطة المرحوم المستر سيل فرث ، وظهر أنه من ابتكار الامة الثالثة المصرية

مقـــدمة الاعاصير

للشاعر القروى رشيد الخورى

نزيل البرازيل

تعليق

كانت نفسى تجمجم منذ شهرين بكلمة تريد أن تعلن بها الى جمهور القارئين صدور هذا الديوان منذ دفع إلى لأكتب عنه كلمة فى « مجلة الزائرين » — وقد أهداه صاحبه اليها لأن مقدمته آراء أدين بها ، وأحب أن يدين بها شعراؤنا وكتابنا بين يدى زماننا هذا ! ولكن التوانى فى إخراج الفكرة حين ولادتها وحرارتها ، طالما جر الى موتها ونسيانها وخمود دواعيها ، وهذا ما حدث لى بشأن الكلام عن هذا الديوان .

بيد أن كلمة الاستاذ الكبير عبد الوهاب عزام ، عن هذا الديوان فى عدد مضى من الرسالة قد جددت فى نفسى حرارة الافكار التى فى مقدمته ، مما تقاضانى أن أسرع الى الكتابة عنها .

ولئن كانت كلمة الدكتور عزام كافية فى إعطاء القارئ صورة عن وطنية صاحب « الاعاصير » وعروبيته وتساميه . . الخ فانى أرى جمهور قراء الرسالة بحاجة الى أن يعلن اليهم عن الافكار التى فى مقدمته النثرية ، فان فيها دعوات ثائرة ، من العار ألا يتردد صداها فى نوادى الادب فى الشرق العربى وسط عصر الجهاد والفداء والزلزلة ! وليس من الانصاف للذى هتف بها على بعد الدار ونأى الشقة ، أن نمر بها كما نمر بأية فكرة أدبية ، فاننا نعتد ذلك عقوقاً لهـــذه النفس البرة التى لم تطرف عينها خوالب الدنيا الجديدة ولم تشغلها عن النظرة الرائية الآسية للوطن الاول . . .

وعجيب أن يكون القلب الخافق بهذه الوجيعة ، والبوق الهاتف بأصواتها التى سيسمعها القارئ خلال ما تنقله من السطور ، نزيل ديار فاتنة بأفانين حياتها وحريتها ، مما يجر الى نسيان الوطن الاول . بينما نجد الكثرة الراقدة بين فكى الحوادث ، وتحت مناسمها من

أدباتنا الذين يأخذ أمتهم الضغط والاضطهاد مصبحة وبالليل ، نجدهم كما يقول صاحب الأعاصير : « بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها .. وعابد بغيا يسفح شبابه على أقدامها .. و (علاك) أوزان تمر به قوافل الحياة قطاراً تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الأجيال ، وهو واقف إزاءها وقفة الغر الابله يتلهى بتشطير أو تخميس ! أو يبارى فى وصف ساعة معلقة على جدار كأن ليس فيما يجرى خلفه وبين يديه من ساعات الهول وأهوال الساعة ما يحرك له خاطراً أو يهيج له شاعرية . ! أو ليس من الغبن الفاضح ومن دواعى اليأس القاتل أن يموت فى الأمة شاعر فتصبح الأمة بأسرها شعراء ترثيه وتبكيه ، وتموت بأسرها فلا تجد لها شاعراً يرثيها ؟ ! » أجل أيها الأخ النازح ! إنه لغبن فاضح وجهل بحقوق الأمم فى أعناق الرجال ، وغفلة عن رسالة الشعر والأدب ، وعن وصاية الأدباء على أممهم ، أن يهمل المتأدبون ناحية الجهاد فى هذه الحقبة من تاريخ العرب ، وأن يعكفوا على أدب الخليين الذين يذهبون الى اشباع الحاسة الفنية فيهم ليس غير . . .

وإنى لأفهم أن قلم الشاعر والكاتب ، ولسان الخطيب ، فى عصرنا هـــذا ، يجب أن تشيع فى منتوجه ألوان من آلام أمته ، وأن يخلد من وقائع جهادها صورا تتيح للأجيال المقبلة ان ترى فيها حياة الألم الذى يأكل احساس الجماعة المثقفة فى هـــذا العصر لانهم بشاعريتهم المصقولة ، واحتكاكهم بالزمن ، وتيقظهم لمروره يعكسون صور من يدركون من الحوادث بوضوح واستيعاب ، فاذا حولوا هذه الحساسية المصقولة إلى حياة اللهو والمتاع والخلو ، فقد تضيع معالم هذه الحقبة من تاريخنا أو تنهم ، فضلا عما يصيب إحساسنا القومى من تبلد ونزوع الى حياة المتعة حيث الكتابات الداعية اليها تأخذ على عين القارىء مسالك الصخف . وفى هذا خسران الروح المعنوية فى عصر الجهاد ، وفى ذاك خسران أيضا لأننا فى جيل انتقال أجوج ما نكون إلى تسجيل الأحداث مع المشاعر التى تصاحبها ولن يسجل المشاعر إلا شاعر .

ولن يستطيع الداعون إلى بناء الوطن العربى ان يجدوا فى نفوس الشباب حرمة له مالم يأتوا اليهم من طريق الجد والمرارة ! فانهم يستطيعون حينذاك ان يشيدوا البناء بنجوم السماء !

والآن أضع بين يدى الرسالة نص مقدمة « الأعاصير » لتنتقى من أفكارها ما تتسع له صفحاتها ومنهاجها ، ولو أن الأمر الى لوضعتها كاملة تحت عين القارىء ليرى ذلك القلب الخافق رحمة لأمته ، والصوت الصارخ لآلامها ، والقلم الوفى لقضيتها .

* * *

أما بعد فانى كتبت ما تقدم قبل أن أقرأ المقال الذى كتبه صديقى الأستاذ الاديب على الطنطاوى الدمشقى فى عدد مضى من الرسالة والذى ينعى فيه على أدباتنا الذين لم يعرفوا حق القومية فى عصر الجهاد والذين اعتنقوا الأدب للفن لا للحياة .. وقد عجبت لهذا التوافق فى ظهور هذه الأفكار بينه وبين صاحب الأعاصير .

ويلوح لى أن الأمر جد ، وأن زمان ظهوره قد شاءته المقادير ، وأن هذه الدعوة يجب أن يلقى التبشير بها ماله من الاعتبار عند أدباء العربية ، وأنه يجب أن ترسم الخطة التى ينبغى أن يتجه اليها أدب أمة تتزى المنافى السياسة والاجتماع .

وأنى لأستقبل المغرب وأرسل للشاعر القروى تحيتى حارة خالصة لايطفىء من حرارتها عبور مابيننا وبينه من ديار وقفار وبحار . ثم استقبل المشرق فأحيى صديقى الأستاذ الطنطاوى تحية طيبه . ومنى نفسى أن يكون لهذين الصوتين المنبعثين من مشرق الشمس ومغربها ، صدى بالغ إلى قلوب قراء الرساله ؟

عبد المنعم خلاف

المقدمة

هذه الاعاصير ! وهى مختارات من شعرى الوطنى ، نحيتها عن سائر أشعارى لتخصوصف فى جوروحدها . انها خواطر جامحة ، وأفكار ثائرة ، بلوت من صراعها فى صدرى مع اخواتها الوادعات ، ما أشفقت معه أن أجمع بينهن فى كتاب ، يَسُمُّنَه من تأبذهن وحراشهن ما سُمُّنَى من عذاب . ولم أخصها بالنشر ، على ما فيها من شدة وعُرام ، قبل مختلف المواضيع التى يشتمل عليها ديوانى ، إلا لاعتقادى أنها الى مايبعث فينا الاثرة ويقوى العصبية ، احوج منا الى ما يزيدنا حباً للانسانية ، واصلاحا للبشرية .

هذه آيات أنياتنا واسفار حكاتنا ، تشهد بأن لنا من فيض العاطفة الاجتماعية ، وحرارة الروح الانسانية وسطوعها ، ما ليس لسائر الأمم بعضه ، ولكن هذا الذى أردنا به السلام للعالم يعمل به أحدٌ سوانا ؟ فلم تهد الناس شيئاً وعاد علينا نحن وبالا شديداً فلقد وزعنا الحب على أهل الدنيا ، حتى لم يبق لنا منه فضلة لذواتنا ، ولقد

بلغنا من انكار النفس والتطوع بخدمة الغرباء مبلغا جاوز بنا رياض فضيلة الكرم ، وشرف التضحية الى سباخ التمرغ والذل والدناءة . انا أيبلس المطايا قياداً ، وألينها شكيمة ، وأحناها ظهراً ، وأنعسها مركبا ، بل نحن صيد شهى سائغ ، ليس أقرب منه منالا ولا أسهل منه مأخذاً ، فبدلا من أن يتكلف القناصون مشقة نصب الفخاخ لنا أو مطاردتنا ووهقنا ، باتوا وجهادهم محصور فى كيف يتقون تهافتنا عليهم ، ووقوعنا على أقدامهم ، كما يدفع الرجل كلبه عنه حذراً منه على لباسه ، لفرط ما يرى من تحببه اليه وتوثبه عليه .

اما والله لو كنت شاعراً فرنسياً أو انكليزيا لحبست النفس على التبشير بالسلام ، ووقفت القلم على الدعوة الى الرأفة والحنان . لأن الرأفة والحنان زينة الأقوياء . أما وأنا سورى ، ومن لبنان ، فانى لاغرض لى فى الحياة أشرف من دعوة شعبى الى بغض الشعوب ، ولا مثل عندى أعلى من استنهاض أمتى لمحاربة الأمم . وأنه ليغض اسمى من الحب ! وانها لحرب اقدس من السلم ! فما دمنا عبيداً ضعفاء فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة فى شىء أكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار ، حجة الذليل اللئيم ! فلنصافح السيوف ، فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء ! نحن نحب أوروبا ، ولذلك يجب أن نبغضها أولا ! نبغضها لنحاربها ، ونحاربها لنتحرر منها ، ونتحرر منها لنستطيع خدمتها بأحسن مما تخدم نفسها . نحن أصح الخلق أبداناً وأرجحهم عقولا ، وأحسنهم أرواحا ، فلو فكت عنا اغلال القوة الغاشمة لسبقنا العالمين فى مضامير العمران ، ولأسبغنا على العلم من دمائة اخلاقنا ما يروض أوابده ويصرف اعنته على أكمل وجوه الخير والصلاح . ولكننا ، دون هذه الأمم الحرة أمة شلتها قيود التقاليد الرثة والتعصبات المقيتة ، كلما فتحنا عيوننا على عيوبنا وحاولنا تحطيم اصفادنا لنسرى فينا الدماء ، ونعود فنعد فى الاحياء ، أحكم الظلم وثاقنا ، وضاعف ارهاقنا وألقى بنا فى مطارح الخسف والهوان ، طرحك الخرق البالية فى القمامات !

فيا أبناء وطنى — لكم تجدون بينكم من دعاة الاستعمار ، نفراً يدعون الحكمة ويتكلفون الوقار — يجلس وأحدهم جلسة الوثن مترصنا جامداً ، كأنما ركز المصور أو المزين رأسه على شكل لا ينحرف عنه . ثم يبسط كفيه على ركبتيه ، ويزوى بين عينيه ، ويقول خافضا صوته : — ما لكم ولهؤلاء الشعراء ، ان هم إلا صبية اغرار ، يحرضونكم على المطالبة بالحرية ، ولا سلاح لديهم غير ألسنتهم وأقلامهم ، فيجلبون عليكم النقمة ويسوقونكم الى الهلاك . . . ألا أعرضوا عنهم ! وكلوا أمركم الى ولاة الامر فيكم ، أنهاكم الحنون ، وحاشا لأمكم الحنون أن تريد بكم شراً . . . أنها تهيء لكم خيراً جزيلا . تدربكم على الحرية ، فاذا صرتم لها أهلا وهبتها لكم لوجه الله لا تبغى اجراً ولا شكوراً ، فاسعفوها فى اصلاح نفوسكم تستقلوا ، فالاستقلال رهن بأهليتكم ، ووقف على استحقاقكم . الى ما شاكل من عظات تخثر النفوس وتوهن العزائم ، وتطفئ جذوة الحماسة فى الصدور — أما أنا فأقول لكم : يا أبناء وطنى لا يؤهلكم للاستقلال إلا الاستقلال نفسه . نفوسكم ضائعة . نفوسكم مغصوبة . جددوها أولا واستردوها ثم اصلحوها ! أفأنتم مسؤولون عما لا تملكون ؟

ان هؤلاء المضللين يلهونكم عن السعى الى تحقيق مطلبكم الاسمى ، ببهرج من وعد ، وزيف من رجاء ، لتلبثوا حيث أنتم أو تمشوا القهقرى . أنهم يحاولون اقناعكم بان العبودية وسيلة الى الرقى ، بالرقى وسيلة الى الاستقلال . انهم يعدون الجائع بقميص ، ويمنون العارى بكأس ثلج ، أرأيتم منطقا أسد من منطق المستعمرين ؟ يا أبناء وطنى ! الاستقلال هرب من حمام ، وطب من سقام ، وكما أن النقه درجة بين الداء والصحة ، هكذا الحرية مرحلة بين العبودية والمجد . الاستقلال غاية بالنسبة الى الرق الذى انتم فيه ، ووسيلة بالنظر الى الرقى الذى تنشدون ، فمزقوا هذه العصائب ، وحطموا هذه القيود ثم رودوا نجح الاصلاح ، وحاضروا فى أشواط الفلاح ، فلا هدى لعميان ، ولا عدو لمتعدين .

ولقد يقول الناقدون ، ما شأن السياسة فى الشعر ؟ ان الشعر لأرفع من هذه الاباطيل . انه تنكب عن أغراض الدنيا وإعراض عن سفساف الحياة ، وتلمس للمثل الأعلى . ثم يقولون من ناحية أخرى : — الشعر الحقيقى هو ما مثل الحياة أكمل تمثيل ، والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة : هو دليل أمته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها . رافعاً لواء الحق . هو بشيرها فى الشدة ينعشها بالرجاء . ونذيرها فى الرخاء يقيها مزالق البطر . فنقول لحضرات الناقدين : — انا إذاً وإياكم لجد متفقين ، ولا خلاف بيننا إلا أن ما نسميه نحن وطنية أخطأتم أنتم فدعوتموه سياسة . اننا فى سدا الشعر لم نخض معارك انتخاب ، ولا تدخلنا فى أحزاب ، ولكننا جهرنا بالحرية ونادينا بالاستقلال ، وطالبنا بالحق ونشدنا العدل . والحرية والحق والعدل ليست من أباطيل الحياة كما تزعمون ، ولكنها

من أشرف مبادئها وأنبل غاياتها . ولقد عبرنا فى شكاوينا المحرقة عن أعمق جراحات أمتنا المطعونة فى صميم عزتها وإبائها ، وأعربنا فى صيحاتنا عن أسمى ما تغامر بلادنا فى سبيل استرداده من شرف مروم ، كان فوق النجوم ، فبات سحيقاً تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين .

أما ذلك الشعر الذى تضحك فيه الحياة ، وترن قوافيه بألحان الحب والغزل ، وتعبق أنفاسه بنفحات الشباب ، فله ساعات تخلص فيها النفس من اعبائها وتتناسى الى حين ما هى فيه من شقاء ، وقد اتفق لنا منه قدر معلوم سننشره فى كتاب وحده ، ولكنه على كل حال ليس بالشعر الذى يتسم به أدب أمة مقهورة كأمتنا الراهنة ، انه لدولة مرفوعة لواء المجد ممدودة رواق العز كدولة أجدادكم فى الشام وبغداد والأندلس لا كدولة الانيار التى تحتها ترزحون ، والاصفاد التى فى حديدها ترسفون .

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين فى المريخ ودخان غيظها يوشك أن يبطن القبة الزرقاء بقبة سوداء ، افتريدون منا أن نخرج المعجزات فنسمعكم همس الازهار وسط هذا الضجيج ، ونصور لكم الوان الشفق وراء هذا القتام ان لم تكن غرباء الشعور عن هذه الامة وإن لم تكن بعيون غيرها تبصر ، وبآذان غيرها تسمع ، ومثل غيرها تنشد ؟ الا على رسلكم ايها الناقدون افاما أن تأتونا بغير هذا الافلاس الوطنى آية والا فحسبكم تضليلا

وهبوكم لاتؤمنون بغير الارض وطنا ، وغير الانسانية عشيرة ، افتعتقدون ان الارض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟ واذا كنتم ولاشك تشعرون بفقرها الى الاصلاح فلماذا لاتباشرونه من أقرب اقطارها اليكم ؟ ان الذى يغتصب لحق هضم فى الصين اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده ، والذى ينفر الى نصرة مظلوم فى آخر الدنيا لحرى بان يذود عن ضعيف يصرعه البغى بين شماله ويمينه ! إن الحرية هى الحياة بمعناها الشريف وهى اول حقوق الانسان ، فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروا الحياة على أقرب ابناء الانسانية اليكم ؟ الا فاشتروا لوجوهكم براقع ايها المراؤون او فاستروها بأكفكم خجلا ! إن الذى لايستطيع ان يحب نفسه وأهله فلن يحب من الناس احداً

يا أبناء وطنى ! ويقول لكم ضائع المستعمرين نحن مثلكم نحب الحرية ولكن أين عدتكم للحرب والصدام ؟ أين مدافعكم وأساطيلكم وطياراتكم وغازاتكم الخانقة ؟ فأقول للرعاديد لا تحتجوا بحاجتكم الى السلاح فأنتم الى الاباء وعزة النفس أحوج ! اشعروا أولا بهوانكم واغضبوا لكرامتكم فاذا فعلتم فأنا الكفيل بأنكم تجدون غير هذه الجبانة جوابا لمن يسألكم أين عدتكم للحرب والصدام ! فوالله انكم بطول نومكم على هذا الضيم واستكانتكم لهذا الذل قد برهتم على أنكم أصبر الناس على الكريهة ! فلماذا تتقون الحرب ؟ أو تخافون موتاً شراً من الموت الذى أنتم فيه ؟ !

أفانتم أكلف بالسلام من مسيح السلام ؟ أأنتم أودع من حمل الجلجلة ؟ أما غضب فانهال بالسوط على الصيارفة وباعة الحمام يطردهم من الهيكل غيرة على بيت أبيه ؟ فبربكم أيها الشياطين الأتقياء كونوا آلهة أشراراً ولو مرة واحدة وذودوا عن بيوت آبائكم وأجدادكم ! واذا كان يشق على أيديكم الحريرية الناعمة أن تجلد بالسياط أو تضرب بالسيوف فحاربوا بسعف النخل وأغصان الزيتون ! حاربوا بالسلام ! حاربوا بالغندية ! ان الشريف لا يعدم سلاحا يناضح به عن الحق ، أما الجبان فيموت الحق شهيداً بين سمعه وبصره وهو فى غاب من بنادق وحراب . ألا ليت الجبان كان لعيناً يزجر الطير ويفزع الثعالب فان هذا اللعين يخاف كل شىء ولا يخيف أحداً ! ! ..... الشاعر القروى

ابرة المغناطيس

للدكتور عبد الوهاب عزام

جلست الى مكتبي البارحة ، فوقع بصري على « بيت الابرة » ، فانفتحت أمامي سبلٌ من الفكر لاتحدها غاية . وانى اذ أحاول أن أقيد هذه الفِكَر على القرطاس لمحاول أن أسلسل بهذه الاحرف خطرات الفكر الخاطفة التي تطوى الاجيال والاقطار فى لمحات . وتجمع السماء والارض فى طرفة عين :

قلت ما أعجب هذه الابرة ! انها هادية لاتضل ، عارفة لاتخطىء تنتحى الشمال مهما أدرتها عنه ، ولا تنسى عهد المغناطيس مهما أبعدتها منه . ومهما جمعت عليها من الحجب والظلمات ، وأضعفت لها فى المسافات ، فهى مولية وجهها شطره محسة جذبه ، موصولة به ، خبيرة بوحيه ، لاتنساه ولا تشرك فى هواه . ليت شعري أأهدى من الانسان هذه الابرة الصغيرة! أجل انها لتهدى الانسان فى البر والبحر والسفر والحضر .

أحسست حينئذ خفقان قلبي يذكرني أن فى صدر الانسان ابرة أخرى مرشدة هادية ، تتوجه شطر معدنها أبدا ولا يصدها عنه تطاول الأمد وبعد المدى

ألم تهد هذه الابرة الأمم فى ظلمات الجاهلية ، وغيابات القرون ، فعصمتهم على العلات من الهلاك وأخرجتهم إلى النور على تكاثف الظلمات . ولاتزال هادية بصيرة بالغاية ، خبيرة بالسبيل اليها — كم عبدت الانسان شهواته ، وأضلته عن الخير مطامعه . فما زالت هذه الابرة تضطرب فى صدره حتى اهتدى سبيل النجاة ، ووضع على هداها منار الطريق . كم طغت بالانسان ضغائنه وأحقاده ، فمازالت هذه الابرة تخفق فى جوانحه حتى عرف إلى الحب والألفة والمودة السبيل ، واستقام على النهج لايميل . وكم غلا الانسان فى ظلمه وعدوانه ، فمازالت تتحرك فى أضلاعه حتى أشعرته نقسها ثم ردته إلى خطة للعدل محمودة ، وسبيل من الانصاف رشيدة .

وكم غدر الانسان ثم اهتدى بها الى الوفاء فندم على ماقدم ، واغتبط بما اهتدى . وكم أجرم الانسان فوخزته فأفاق ، فكأنما صور خلقاً آخر ينفر من الاجرام ، ويزكن الى السكينة والسلام . وكم سفلت بالانسان سجاياه ، فعملت فى صدره حتى سمت به إلى العلياء ، وطارت به من الحضيض الى عنان السماء . وكم وقفت الانسان همته فدفعته هذه الابرة العجيبة فمضى قدُمًا الى العمل ، وهمزته فدأب لايعرف الكلل . وكم أظلم على الانسان طريقه ، وعميت عليه أرجاؤه . واطبقت عليه سحائب سوداء ، وأحاطت به ظلمات لاشية فيها من الضياء ، فنظر اليها فاذا هى الى الغاية دليل ، واذا هى عالٍ الظلمات قد استقامت على السبيل — وكم حارت بالانسان آراء مضلة . وأفكار غائلة ، وأقوال ساحرة ، فلماهلك أو كاد ، ودارت به الحيرة والالحاد ، أحس اضطرابها فى نفسه فسكن ، فتهافتت الآراء وتهاترت الأقوال ، وثاب اليه هداه فوجد أمامه الله .

* * *

إيه أيتها الابرة الهادية ! ضل الانسان فى ضلاله وهرمه ، وجهله وعلمه ، وسعادته وشقائه ، ووحدته واجتماعه ، وحله وترحاله ، لولا هداية من الله فيك . وبصيص من نوره فى نواحيك ، وصلة به لاتنقطع ، وشعور به لايضل ، وجذوة من حبه لاتخمد .

وأما الذين أضلتهم الأهواء ، فعميت عليهم الانباء ، وتخطفتهم فى الحياة المآرب ، فتذبذبوا بين شتى المذاهب ، وشرق بهم مطمع وغرب آخر ، وتلونت لهم غيلان من الآمال والاعمال ، والذين فقدوا أنفسهم وهم لايشعرون ، وضل سعيهم وهم يحسبون انهم مهتدون ، والذين يلبسون كل يوم ديناً ، ويبدلون كل حين رأياً ، ويلبسون لكل دولة وجهاً ، ولكل سلطان زيًا ، ويتخذون لكل ساعة لساناً ، ولكل فرصة وجداناً ، فأولئك أغفلوا النظر اليك فحرموا الاهتداء بك ، بل أولئك فى إبرتهم خلل قدعرض ، أو أولئك فى قلوبهم مرض .

عبد الوهاب عزام

الجمال الطبيعى والفنى

للاديب الانجليزى كلاتون بروك

(A. Clutton - Brock)

عن كتابه (مقالات فى الفن Essays On Art)

للطبيعة جمالها وللفن جماله ، وقد بذلت مساع كثيرة لايضاح الفرق بين الجمال الفنى والجمال الطبيعى ؛ لكن نظرية « سينجر جروس Signor Groce » كثيرة الأنصار اليوم ، وهى تقول : « إن الطبيعة تمد الفنان بالمواد الأولية فقط ، وإن الشعور بجمال الطبيعة هو مبدأ التدرج الفنى ، وان عقل الفنان موجد الترتيب والتناسب فى الطبيعة المهوشة ، وان الناس جميعهم قادرون على إيجاد هذا الترتيب ولكن بدرجة محدودة . أما الفنان فيظهر هما أكثر جمالا وكمالا . الفنان قوى الاحساس يستطيع أن يصنع (Make) الجمال الذى يحسه ، الاحساس جزء من الصنعة .

ويقول جروس : « اذا كان الفنان يصنع جمال الطبيعة بشعوره به ، واذا كان من الممكن أن يتولد هذا الجمال بعمل عقله ، يكون جمال الطبيعة حينئذ من نفس الجمال الذى يظهر فى فنه ، ثم اذا ظهر لنا أن فن الفنان يختلف عن جمال الطبيعة فما ذلك إلا لاننا أنفسنا لم ننظر جمال الطبيعة كما نظره الفنان . ولاننا لم نحول كل التمويش الى ترتيب . واعلم أن هذا الاختلاف بين عمل الفن وعمل الطبيعة ليس اختلاف نوع بل اختلاف قدر ، وأنه لا اختلاف فى الحقيقة بين جمال الطبيعة وجمال الفن لا فى النوع ولا فى القدر . ان ما يصنعه الفنان يراه ، وما يراه يصنعه ، كل الجمال فنى ، وان حديثك عن جمال طبيعى حديث خرافة » .

رغماً عن « جروس » وكل حذقه وما فى نظريته المنطقية حق لا يمكن أن نعتقد أننا نصنع الجمال حينما نراه ، وأن الفنان يصنعه حينما يحسه ، ولن نعتقد أن الجمال الذى يصنعه هو من نفس طبيعة الجمال الذى شعر به ، ولا هو — مثلنا — يقدر الجمال الذى يحسه حق قدره لانه يعلم أن لا بد له من صنعه ، وأنه شىء مستقل عن نفسه . الفن ليس أكثر من تأثر عقل الفنان بجمال الطبيعة ، وعلى قدر ما فى العمل الفنى من عاطفة وإحساس يكون ما فيه من جمال .

اذا عرف الفنان أن الجمال الذى يحسه هو نتاج عقله ، لا يستطيع بعدها أن يقدره حق قدره ، وانه اذا تمسك بنظرية « جروس » خرج عن كونه فناناً وأصبح ذا صفة أخرى ؛ لاشىء يقتل الفن مثل الجرى وراء ايجاد جمال من نفس طبيعة الجمال الذى نراه فى الطبيعة .

نشاهد فى جمال الطبيعة صنعة Work Manships غاية فى الاتقان ، وانها كذلك غاية فى الاتقان ؛ لانه لا يوجد فى الحقيقة ثمة صنعة ، الاشياء الطبيعية لم تصنع وانما ولدت ، أعمال الفن التى صنعت ، توجد فروق جوهرية بين الاشياء التى صنعت والاشياء التى ولدت ، ثم بين جمال هذه وجمال تلك .

لابد وأن يظهر فى كل من الاعمال الفنية جهد الصنعة ونقصها وخشونتها ، وان هذا الجهد والنقص والخشونة انما هو فى الحقيقة روح جمال الاعمال الفنية وانه هو الذى يميزها من جمال الطبيعة ، وحالما يمتنع الناس عن فهم ذلك وينتخفون بهذا الجهد والنقص والخشونة ، تراهم على الغالب لا يظفرون حين يطلبون من الفن الجمال الطبيعى بغير جمال ميت .

يمكننا أن نفهم أحسن فهم الفرق بين نوعى الجمال اذا نحن تدبرنا كيف ينسل الجمال فى اللغة ، هذا الفن الذى نمارسه جميعنا قليلا أو كثيراً ، والذى يصعب فيه ان لم يكن مستحيلا تقليد غاية الجمال الطبيعى ؛ لا يوجد جمال فى مثل جملة : « سينال المعتدون جزاءهم » ، لانها تؤدى المعنى المراد تماما بلا زيادة ولا نقصان ، ويوجد جمال فى مثل جملة « ليال سرقناها من الدهر . . . » ، لان فيها ، وان كانت تظهر أيضا غاية فى البساطة ، يحاول الشاعر أن يقول أكثر بألف مرة مما يستطيع أن يقوله ؛ ان السعى فى عمل ما هو خارج عن طاقة الكلمات هو الذى يحمل الجمال الى الكلمات ؛ تلك هى طبيعة الجمال الفنى التى بها يتميز من الجمال الطبيعى ، الاعمال الفنية هى دائما وليدة السعى لاتمام المستحيل ، لاتمام ما يعرفه الفنان أنه مستحيل ، وانه حينما لا يوجد هذا السعى ، حينما يكلف الفنان نفسه عملا فى وسعه اتمامه ، عملا لا يدل على غير المهارة ، حينئذ يخرج عن كونه فنانا . يقول (جروس) إن شعورنا بالجمال يرتفع على قوة احساسنا بعظمة الاشياء ، هذا صحيح ؛ غير أن قوة احساسنا هذه تبقى قوة احساس غير قادرة على صنع ما تحسه ! ان الفن ليس مجرد اتساع طريق الشعور كما يزعم (جروس) ، وانما هو تجربة عملية لاظهار مقدار شعور رجل الفن ، فن الفنان جواب لجمال الطبيعة وعناده له .

الفن ايضاح حالات خاصة ، حالات انجاب وتقدير ، هو التسليم ببعض اشياء أعظم من الانسان وحيث لا يوجد هذا التسليم يموت الفن .

ان هذا الفرق بين جمال الطبيعة وجمال الفن لا يرى فى الجمعية التى تعتقد أنها تستطيع أن ترفع سماء بمهارتها وعلمها وحكمتها ، أن الفن فى مثل هذه الجمعية يفقد كل خواص جماله .

أن الرجل الذى يتطلع الى الكمال فى الفن انما يخدع نفسه إذ الكمال لله وحده ، ولا ريب أن من عرف الله حق معرفته أصبح شبيها به وأمكنه أن يكون الجمال مثله ، ولكن ان للانسان ذلك ، بل أن العجز ليجعله غير قادر على اتمام موضوعاته التى توحى اليه بها معرفته الله ، وهما لا بد له فيه ؛ وهكذا نرى النقص باديا فى كل جمال فنى ليس فى الفكر فحسب ، بل فى العمل أيضا ، وانه لنقص يحسبه خيبة وشناعة اولئك الذين يتطلعون الى مسمى الجمال الطبيعى فى الفن والى توقع رؤيته نظريا لا صنعياً ، مثل هؤلاء يفشلون أبداً فى الاعمال الفنية العظيمة لما يعروهم من قنوط وكد وجهد ؛ انهم موازين قدرة الانسان واعترافه بالعجز فى آن واحد ؛ بيد ان هذا الاعتراف القائم على الصدق والاخلاص ان هو إلا الجمال بعينه ، وأن الصفاء ليبدو فى جمال الفن ابداً ولكنه صفاء الاذعان لاصفاء الرضى ، صفاء القداسة ، وليس لاصفاء التجمل ، ان العظمة غير المحدودة فى كل ما يأتى به الفن ليست سوى اثر مهارة يلدها سعى الفنان الدائم ليعمل أكثر مما يستطيع . ليس للفنان ان ينشد مجرد الثناء وتصفيق الاستحسان بل يجب أن يعبد أيضا وان يبدع ما يقدمه بين يدى عبادته ، ذلك خير وابقى ، ليس الرعاة وحدهم الذين تقدموا الى قبر السيد المسيح ، بل الحكماء أيضا جاءوا يحملون اليه كنوزهم ، وفن الانسانية انما يكون بآثار حكمائها ، بل هو عبادة المجوس أكثر الناس بساطة فى عبادتهم .

(أيها الحكماء لقد قطعتم كل طرق المعرفة وانتهى بكم المطاف الى حيرة الراعى ؛ ولكنها الحيرة التى لا تذهب بالحكمة)

التى عندما تقف حائرة وتتوجه معرفة الانسان ومهارته وكامل شعوره الى الاقرار لما هو أعظم من الحكماء أنفسهم يكون ذلك الاقرار هو الفن ، ويكون له من الجمال ما يفوق جمال الطبيعة القدسى .

شرق الأردن

بشير الشريق

المحامى

الحقيقة . . . والخبز !

للاستاذ على الطنطاوى

كانت ليلة باردة . تزأر فيها الرياح زئيراً مرعباً ـ ويهبط فيها البرد مجنوناً ، فيصطدم بالنوافذ والجدران . ويكون لوقعه على نافذة النادى الوطنى فى تورينو (فى بيه مونت) صوت كصوت الطبل. وكان النادى خالياً تلك الليلة الا من نفر جاءوه على رغم هذا البرد .. وتجمعوا حول الموقد يحتسون الخمر ، حتى اذا اكثروا من الشراب ، واثقل رءوسهم جو النادى الثقيل ، الملىء بالدخان ، استرخت اعضاؤهم ، وتمددوا فى كراسيهم ، يتجاذبون اطراف الاحاديث فى فوضى واضطراب . ولم يكن فيهم مصغ ، بل كانوا جميعا متحدثين صاخبين ..

ورأى خادم النادى ثقلهم عن الذهاب ، فعلم انهم لا ينوون براحاً قبل الصباح . فمشى الى الباب على حذر ، ثم أغلقه دونهم وخرج وهو يذهب عنقه فى كتفيه ، ويتنفس الصعداء . وهرول يريد بيته وعياله

ولبث القوم على صخبهم حتى صاح منهم «دانى» :

ـ هو . . . ألا ترون هذه الفوضى مضجرة ؟

وكأنما نبههم بصياحه فأنصتوا . وقال صولين

ـ وماذا تريد ؟

ـ أريد أن نشرب قدحاً آخر على روح الدكتور !

فتبسم صولين ضاحكا من قوله ، وانبرى له بيير بحدة كالذى لدغته عقرب فقال :

ـ أتعود الى ذكره ؟ لقد ذهب الى الشيطان!

ـ ولكنه كان مخلصاً

ـ نعم ، كان مخلصاً للنمسا (عدوة الوطن) للنمسا التى عاش بعة أعوام يتلقى العلم فى جامعاتها ، ويتلقى معه بذور الخيانة للبلد الذى أنشأه ، حتى اذا عاد أنكر هذا البلد الذى غادره ، طيعاً هادئا : يؤثر السلم والطمأنينة ، ولو فى ظل الأجنبى الغاصب ، على اجهاد فى سبيل الحرية ، فوجده حين عاد متيقظاً قد غمرته الروح المقدسة ، روح الجهاد من أجل الوحدة الايطالية ، وانتشرت فيه كالسيل

الجارف الذى لا يقف أمامه شيء ، قد آمن بها الرجال جميعا ، وتخطت جدران المنازل فاعتنقها النساء ، وجازت أبواب المدارس فاستقرت فى نفوس الأطفال ، ودخلت قصور الحكومة فاحتمت بها ، ووقفت منها موقف الصديق المرحب ، آملة أن ترفع لها راية حمراء ، تقود الشعب تحتها لانتزاع حريته من فم الأسد ، من النمسا ! وجد الدكتور ذلك فهاله وعمل على محاربته ، فسقط فى الميدان صريع خيانته

ـ لا تقل خيانة . ان القاء محاضرة علمية عن قيمة الامبراطورية الرومانية لا يعد خيانة . وحسب الدكتور أنه أرضى ضميره العلمى . وأظهر تاريخنا للناس مجردا من ثوب الغرور الوطنى

ـ أنه حالف الحقيقة . فروما سيدة العالم لا يمكن أن تكون من عنصر العالم . هى من عنصر اسمى . هى أم الشعب المختار

ـ لو كانت كذلك ، لما انقرضت ، الصالح يبقى أبداً . . .

وعلت الاصوات . حتى صارت المناقشة ضجة جوفاء . . فاسكتها صولين . . وقال بهدوء

ـ وماذا يعنيكما من الحقيقة حتى تتقاتلا من أجلها . مهما تكن حقيقة الأمبراطورية الرومانية ، فالغرور الوطنى ، خير منها . مادام هو السبيل إلى حياتنا واستقلالنا

فصاح به دافى :

ـ هذه آراء خطرة ؟ قل لى من ذا الذى لا تعنيه الحقيقة ؟

ـ الجائع المشرف على الموت ! ان الحقيقة الواحدة هى فى نظره الرغيف ، ورغيف يابس أبلغ لديه من كل ماحوت مكتبة روما

ـ قد يكون ذلك ، ولكن الحقيقة تبقى لها قيمتها

ـ عند من تبقى لها هذه القيمة ؟ انك لم تفهم ماقلت ؟ ان الحقيقة يهتم بها ويفكر فيها من يشبع من الطعام . كما يفكر فى الحلوى ويتشهى الفاكهة . أما الجائع المشرف على الموت فيفكرها . لا يحس بوجودها . يصبح عقله فى معدته . أفهمت ؟

ولاحت على شفتيه ابتسامة تهكم خفية ، اغتاظ منها دافى فقال بحنق :

ـ وماذا تعنى ؟

ثم بدا له ان هذا الحنق انهزام منه فتكلف الوقار وقال :

ـ وضح كلامك من فضلك

ـ كلامى واضح ، فاذا لم تتبينه فليس الذنب على . أعنى أنه يجب على الانسان أن يعيش ثم يتفلسف . كما قال المثل اليونانى . وكذلك الأمة ، لتستقل أولا وتبن لها كيانا قائما ثم تبحث عن الحقيقة . أما البحث عن الحقيقة أولا فجريمة !

ـ ولكن اذا لم نراع المبادىء الاخلاقية فى بنائنا كيانا قام على مبدأ الوحشية . وارتكز على عظام غيرنا ، افنبنى كياننا على عظام الابرياء ؟

ـ اذا لم يوجد غيرها . فلم لا ؟ اذا لم يكن بد من قتل احدكما . فكن أنت القاتل

ـ ولماذا ؟

وظن انه سيعجزه بهذا الاعتراض . وخالطه الأشمئزاز من آراء صولين والشعور بانه يفوقه علما وذكاء . فمط شفته السفلى متهكما وردد

ـ ولماذا بالله ؟

لماذا ؟ لأن حياتك اثمن من كل شيء . ولأن تنال حياة وحشية خير لك من أن تعدم الحياة

ـ ولكن الفضيلة

ـ لادخل للفضيلة فى أمر الحياة ـ لان الفضيلة والعدل والحقيقة والجمال الفنى ـ كل اولئك وسائل ابتدعها الانسان الى ترف الحياة واستمرارها قوية ، فاذا استحالت وسيلة الى فقد الحياة فلتذهب الى لعنة الله

ـ وماذا تقول فى مبدأ الانسانية ؟ وكيف يتفق ودعوتك الى قتل اخواننا من البشر ؟

ـ انا لا ادعو الى قتل احد . ولكن من اراد قتلك فلا تقف منه مكتوف اليدين ، أما مبدأ الانسانية فلا انكر انه من اجمل (السخافات) التى اخترعها الاقوياء لتكون قيدا جميلا يقيدون به الضعيف

ـ اتقول انه (سخافة) ؟ بالله لست اطيق سماع اراءك الشاذة

ـ أولا تظنها كذلك ؟

ـ من ؟ انا ؟ ابدا

ـ وتراها حقيقة ؟

ـ طبعاً ـ وترى البشر كلهم اخوانا ؟

ـ بلاشك

ـ اذن فانت ايها الايطالى اخو السماوى الذى غلبك على بلادك

ونازعك على خبزك ، واتخذك عبداً له ؟ لاأحسبك من البلاهة بحيث تقول ان الجلاد الذى يعذب السجين ويشوى جلده بالسياط هو أخوه

ـ انك تهدم الاخلاق من أساسها !

ـ ذلك خير من أن تهدم امتى التى تبنى الآن . ولست من رأى الدكتور الذى بحث عن الحقيقة فى شعب يبحث عن الخبز . وقد يأتى يوم يصبح فيه من الشهداء . ينصب له تمثال . اما الآن فليس الاخائنا

* * *

ولم يعد يطيق البقاء بين هؤلاء السخفاء الذين يذبحون امتهم بسيف من الذهب . . . فخرج من النادى والسماء تهبط على الارض . فى رعد وبرق ، ففتح فاه ونشق الهواء الطلق ، وصاح صيحة النشوان :

ـ بهذه الثورة السماوية ، تكون حياة الأرض . .

دمشق — على الطنطاوى

الفن المصرى القديم

— ٢ —

قد يكون من بعض الاسباب التى يقوم عليها عذر اولئك المنكرين لفضل الفن المصرى على أنه أساس الفنون الأخرى ، ان الفن المصرى هو فن فذ ، ذوأسلوب فريد يختلف عن بقية الفنون ، يجعله كما يعتقدون — أو يتوهمون — جافاً ليس حراً . أو أنه فن مقيد بحت لقيامه على قواعد وشروط خاصة ، أو نظام قومى لايتعداه ، يجعله غير مألوف لأعين الأمم الاخرى ، أو غير متوافق مع مزاج كل أمة لشذوذه عن المعروف عندها . بخلاف الفن الاغريقى . فهو فن متفق مع جميع الفنون الأخرى فى الغرض والاسلوب . أوهو فن دولى ، فهو لذلك الفن الجدير الصادق . ولهذا أغضوا عن الفن المصرى القديم ، وقام فى أعينهم مكانه الفن الاغريقى كأساس لكل فنون العالم ، وذهبت هذه الفكرة الواهية بمعالم الحقيقة .

وسأحاول أن أدافع عن هذه الحقيقة ، وأقاوم تلك الفكرة التى لاينبغى أن تلبس العقول . وقد أتمنى أن أوفق لاثبات الجدارة للفن المصرى القديم ، وللتدليل على أنه الأساس ، إن لم يكن لكل تلك الأساليب من الفن التى يبهرها الغربيون أعيننا الآن ، فلا أقل من أن يكون صاحب الفضل على جميع أقوام العالم فى تدريبهم على كيفية رسم المجسمات وعلاج الألوان . أو أن يكون قد وضع النموذج المبدئى فى كيف ترسم اليد جسم الانسان رسما صحيحاً ، وكيف تتقن تصوير أعضائه وتمثيل عضلاته . ثم كيف بعد ذلك يتخير ذوق الانسان الألوان التى تتناسق وتتفق تحت العين .

ارتباط الفن بالدين :

ان فنون العالم ، وقد بدأت كلها حياتها فى خدمة الديانات ، وفى تحقيق أغراضها المختلفة . تدرجت الأمم بها كلما تقربت الأمة الى فهم معانى الجمال ، وتوغلت فى أساليب المدنيـــة ، الى طرح التقاليد الدينية جانباً . وتخطتها الى التعبير عن الأغراض الدنيوية ، والكشف عن اسرار الطبيعة بما فيها من جمال وروعة . فاتفقت كلها على أن تعطينا أخيراً تلك الخلاصة البارعة فيما تتمتع به اليوم من مبدعات الفن .

الا الفن المصرى القديم . فانه ظل للديانة المصرية خادما أمينا ، محافظا على غايته واغراضه مدى الخمسين قرنا الطويلة التى عاشها فى التاريخ . ولم يخن عهوده يوما ما ، ولم يتزعزع عن خدمة الديانة حتى فى أنشط أدواره ، فى غضون عصر الاسرة الثامنة عشرة عندما جنحت الفكرة بفن تل العمارنة الى الاغراق فى تزويق القصور .

ومن ذلك كان الفن فى كل أدواره مرتبطا مع الدين برباط وثيق . يتأثر تبعا للانقلابات الدينية ، أو لحركات العبادة ذاتها . أو قل ان الكهنة كانوا غالبا يسيطرون على دقة الفن ، فيوجهونها حيثما شاءوا ، بحسب العقيدة والاهواء الدينية . لما كان للكهنة من سلطة عظيمة فى البلاد ، تقارب سلطة الملك ذاته ، بل ان سلطتهم كانت فى بعض الاحيان ، تفوق سلطة الملك .

ولكن الفن الذى تركه لنا أولئك القدماء ، أعطانا ، مع ذلك ، اثمر مايشهد بقدرتهم وكفايتهم ، وأصدق مايعبر عن نضوج اذهانهم واكتمالها . بل أعطانا فى كل أسبابه شواهد لاتحصر من البراعة والسمو والابداع ، مع وافر من الرشاقة والجمال . فى حين أن كل فن ، قام أو يقوم بخدمة الديانة بعده ، وقف طويلا فى طريق الجمود ،

الى الآنسه لطفية النادى

صور خالدة

من بطولة المرأة العربية

نسيبة بنت كعب المازنية :

سيدة امتلأت كرما ونبلا وفاضت شجاعة وحماسة وازدانت بكل مايزين المرأة من قلب رقيق وحساسة قوية وعطف شديد ، كما تحلت باقدام الرجال وحزمهم

خرجت هى وزوجها زيد بن عاصم وولداها عبدالله وحبيب(١) فى ذلك النيف والسبعين من الانصار يوم العقبة الثانية يريدون رسول الله المصطفى يبايعونه مستخفين لئلا يؤذيهم الجاهلون ، فبايعوه والناس نيام فى ثلث الليل الاخير فى اليوم الاوسط من أيام التشريق من السنة الثالثة عشرة للبعثة ؛ وعادوا الى المدينه ووجوههم تطفح بالبشر بمانالوا من خير ، وقلوبهم ترقص طربا بما فهمهم الحق سبحانه من نوره ، من نعمة الايمان ونور الهدى

كان يوم أحد - يوم تلك الغزوة التى كاد ان يقضى فيها على المسلمين - فاظهرت نسيبة - رضوان الله عليها - من رباطة الجأش والاستبسال فى القتال مالم يكن للابطال المذاويد من فرسان العرب المغاوير

فقد التحم الجيشان (٢) وكانت الدائرة - اول الأمر - على المشركين فمال المسلمون على الغنائم وشغلتهم الأسلاب ؛ فتجمع المشركون ثانية وزحفوا عليهم زحفة اطارتهم كل مطار ولم يبق حول رسول الله الا نفر قليل فيهم ابو بكر وعمر وعلى وسعد وطلحة والزبير ، ونسيبة هذه وزوجها وابناها . ومارأت نسيبة دم المصطفى يسيل على وجهه ، ورباعيته قد كسرت ، ودخلت حلقة المغفر فى رأسه حتى طرحت فريتها التى كانت تسقى منها العطاش وانتضت مهنداً تقاتل دون الرسول ببسالة وإقدام فائقين حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيها « ما التفت يمينا وشمالا الا وأنا أراها تقاتل دونى »

ولقد جرح ابنها عمارة فى عضده اليسرى ضربه رجل كأنه الرقل (النخلة) ومضى عنه فجعل الدم يثعب فقال رسول الله ، اعصب جرحك فأقبلت أمه ومعها حقائب فى حقويها قد أعدتها للجراح — والنبى واقف ينظر فضمدت جرحه وقالت انهض بنى فضارب القوم فجعل النبى يقول « ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة » وإذا بضارب ابنها يظهر فقال المصطفى « هذا ضارب ابنك » فاعترضت له وضربت ساقه فبرك فابتسم الرسول وقال « استقدت يا أم عمارة » ثم أخذت تعل الرجل بالسلاح حتى أتت عليه . فقال الرسول « الحمد لله الذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك » . وقد جرحت اثنى عشر جرحا وهى لا تعنى حتى ضربها ابن قمئة ضربة غائرة فى عنقها ، فنادى رسول الله « عمارة أمك ! أمك ، اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان » فلما سمعته قالت « ادع الله أن نرافقك فى الجنة » فقال « اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة » فقالت « ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا » .

ولنستمع اليها تحدثنا عن بلائها ذلك اليوم : « قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح الى ، قالت راوية الحديث فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا ؟ قالت « ابن قمئة أقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس

(١) الاصابة ج ٧ - والطبرى وابن هشام . (٢) ابن هشام

ومصر لايجب أن تعتبر وثنية بكل المعنى . لأنها فى كل أدوار تاريخها كانت متغلغلة فى أسباب الديانة ، مراعية للخير والصلاح بكل دقة ، تقدر الحساب والعقاب ، وتعمل للآخرة ، حتى طبعت ارضها بطابع دينى . يقرب كثيرا فى بعض الاحيان من الحقيقة . وفنها من أجل ذلك ، فى مبحثه القدسية ، يجعلنا بعيداً عن الحقائق الأرضية ، بما يفوق الفن الاغريقى . ولكنه فى الوقت نفسه نابض بكل معانى المقدرة والرزانة ، متواضع مع الافكار البشرية ، مخلص كل الاخلاص فى التعبير عن الانسانية الأولى .

« يتبع »

احمد يوسف

بالمتحف المصرى

من ثبت مع رسول الله فضربنى بهذه الضربة ولقد ضربته ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان (١)

وهناك موقف آخر من مواقف بطولتها الخالدة يوم خرج خالد ابن الوليد فى جيش فيه ولداها لقتال مسيلمة الحنفى . فاسر مسيلمة ابنها حبيبا فعذبه واراد فتنته عن دينه ، ولكن انى لهذا الشهم الكريم سليل تلك السيدة الكريمة الباسلة التى غرست فيه الشمم وقوة الايمان يوم ان ارضعته . أنى له ان يفتن فى دينه أو يصبأ عن عقيدته.

روى ابن هشام (١) فى السير مانصه « ... وابنها حبيب الذى اخذه مسيلمة صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهدان محمداً رسول الله فيقول نعم ، فيقول افتشهدانى رسول الله فيقول له اسمع فجعل يقطع منه عضواً عضواً حتى مات فى يده لايزيد عـــلى ذلك : اذا ذكر رسول الله آمن به وصلى عليه ، واذا ذكر مسيلمة قال له اسمع ، فلما بلغها هذا خرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحـــرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبهـا اثنا عشر جرحاً مابين طعنة وضربة »

* * *

هذه هى نسيبة بنت كعب التى كانت مثلا عاليا أعلى فى التضحية والاقدام ، والبسالة والنبل . على انها ما كانت لتقتصر على هـــذا فقد كان لها نصيب وافر من العلم فقد روت عن النبى وحدثت كما فى الاصابة .

فهلا تحذوها اوانس اليوم اللائى نسين واجباتهن وفرطن فى كل شىء عدا زينتهن وترفهن

فلتأنس الشابات الكرائم بنسيبة ذلك العصر ، ولتليفـــة هذا الوقت ليقمن بما عليهن لهذا البلد الامين فتنشئن له من فلذات اكبادهن رجالا اولى قوة ، شدادا صلابا ينقذونه مما هو فيه ؟

اسعد طلس

« ١ » السيرة لابن هشام ص ٩٧٣ طبع أوربا فى فصل عنوانه « أم عمارة نسيبة الخ »

(٢) ص ٣١٢ طبع اوربا

التعليم العالى للنساء

للآنسة أسماء فهمى

درجة شرف فى الآداب

مازال التعلم العالى للنساء فى مصر وليدا فى المهد، ولم تهيأ اغلبية العقول بعد للاقلاع عن المبدأ القديم الذى يقول إن المرأة لم تخلق الا للدار وانجاب الاطفال ويكفيها لقضاء مهمتها الخاصة أقل قسط من التعليم . وتحت تأثير هذا الزعم كان قبول الفتيات بالجامعة المصرية سنة ١٩٢٨ بطريق الاحتيال والتآمر كما ذكر أحد رجالات التعليم فى مصر فى حفلة تكريم أولى خريجات الجامعات بدار الاتحاد النسائى فى الشهر الماضى . والواقع ، مازال التعليم العالى للنساء فى بلادنا نبتا يخشى عليه من تقلبات الجو السياسى وزوابع الآراء الرجعية بالرغم من ان النساء فى البلاد الاوربية الراقية التى تحذو مصر حذوها فى كثير من نواحى حضارتها، قد حصلن على هذا الحق منذ أكثر من ثمانين عاما .

ولما يخامر النفس من شـــكوك ومخاوف، على مستقبل التعليم العالى للمرأة المصرية، رأينا ان نتأهب للدفاع ، بعرض قضية المرأة اليوم على بساط البحث بادئين ببيان الغرض من التعليم العالى ثم مايترتب عليه من النتائج بالنسبة للمرأة والمجتمع .

يمتاز التعليم العالى الصحيح الذى يتحرر فيه الطالب من كل القيود بكونه يهيء مجالا واسعا لتكوين الشخصية ولاظهار المواهب بما ان من اول شروطه البحث المستقل والاطلاع الواسع والاعتماد على النفس فى تكوين الآراء والوصول الى نتائج تدعمها الحجج القوية والبراهين . كما ان من مزايا هذا التعليم أيضا فيما لو سار على أسسه الصحيحة ، الاتصال بالمجتمع ودراسة أزماته وظواهره المختلفة من سياسية واقتصادية و تدريب النشء على اعمال الجماعات والقيادة بأن يشتركوا فى تكوين الجمعيات الصغيرة للبحوث والالعاب والاغراض المختلفة التى تنشأ فى ظل الجامعة . وبهذه الطريقة يتمادرن العمل المشترك والتعاون وتضعف فيهم النزعات الانانية . وبذلك يصبحون اعضاء نافعين للمجتمع والانسانية .

والمرأة احوج ماتكون الى مثل هذا التعليم الذى يتضمن كل هذه المزايا فلها عقل كعقل الرجل هو الفارق بينهما وبين الحيوانات غذاؤه الطبيعى العلوم ونموه وصقله فى استغلالها واستثمارها وبما ان المرأة- انسان فلا يصح ان تمنعها الأمومة أو الحيـــاة المنزلية من ان تستكمل اول مميزات الانسان

بان تستمتع بالتعليم العالى الوافى الطليق . . ثم إن المرأة فى حاجة أعظم من حاجة الرجل الى الناحية الاجتماعية من هذا التعليم فهى بسبب انزوائها الطويل فى عقر دارها وحرمانها من الاختلاط الحر وتناول الآراء قد عجزت عن تنمية الصفات الاجتماعيـــة فى نفسها . تلك الصفات التى يمتاز بها الرجل المثقف وهى الميل الى الاعمال المشتركة، وسعة الصدر فى المناقشة والتفكير المتواصل الرصين ولو تحلت المرأة بتلك الصفات فوق ما تمتاز به من حنان ورقة لارتفع ولا شك مستوى المجتمع . ولهنأت الحياة المنزلية . وتلك الصفات يمهد السبيل لا كتسابها التعليم العالى أو الجامعى ، ففى أثناء هـــذا التعليم تختلط المرأة بأناس مختلفى الطبائع والنزعات، متنوعى الافكار والمذاهب، فيداوى ما بها من تقص ونظرة محدودة متأثرة بالمرغبات الشخصية الى الامور . . والواقع أن الحياة الاجتماعية فى الجامعة لا تقل أهمية عن الحياة العلمية بما أنها تعد الطلاب للحياة العملية الراقية ولذلك اهتمت بها كل الاهتمام الجامعات العريقة مثل اكسفورد وكمبردج اللتين أخرجتا للعالم مهرة الساســـة والمصلحين . . وقد يعترض معترض : وما شأن المرأة بهذه الامور وهى لا ينتظر أن تكون من الحكام أو الساسة الماهرين ؟ حقا إن المستقبل القريب لا يبشر بمثل هذا التقدم وان كنا لا نيأس من حصوله فى وقت ما ببلادنا أسوة بالبلاد الاخرى المتمدينة . ولكن الفتاة المصرية كما بينا تفتقر الى الصفات الاجتماعية وفوق ذلك تعدها الحياة الجامعية الصحيحة لان تقوم بنصيبها فى ميدان الاصلاح وليس هنالك من يجهل نواحى النقص الكثيرة فى بلادنا وقد جمع أحد مفكرى الأمريكان الغرض من التعليم العالى للجنسين فى قوله: « إن من يصرح بان الثقافة وتحرير المواهب الفردية هما غرض التعليم الاعلى، لا يذكر فى الواقع غير نصف الحقيقة فالتعليم يكون ناقصا مبتوراً اذا استمر منفصلا عن معالجة الشئون الاجتماعية، قبل بعـــد ذلك تحرم المرأة من التعليم العالى الذى ينمى مداركها ويجعلها أداة نافعة لاصلاح المجتمع خصوصا وأنها مطبوعة على التضحية، شديدة الحساسية، تؤثر فيها تأثيرا بليغا مظاهر الشكوى والألم ؟

تلك هى أغراض التعليم العالى ولم يبق الا أن نذكر شيئا عن بعض نتائجه التى يتخذها أنصار التردد والهزيمة حجة ضد التعليم العالى للنساء : فهم يقولون مثلا - أو ليس من نتائج التعليم العالى للفتيات اذا صدقت الاحصائيات أن أكثر من ٥٠ فى المائة من المتعلمات تعليما عاليا فى أوربا وامريكا يحجمن عن الزواج ويفضلن حياة الانتاج والكسب والاستقلال على الحياة المنزلية التى لا تهيء لهن الميدان الكافى لاستثمار معلوماتهن بالذات فيقل عدد النسل ويضمحل اذ تترك تلك الناحية الهامة لاغلبية من غير المتعلمات ؟ ثم الا تصبح أولئك المتمردات على الحياة البيتية عاملا خطراً من عوامل الأزمات الاقتصادية اذ ينافسن الرجال فى ميادين الاعمال فيزداد عدد العاطلين والمعوزين من الأسر ؟

إن مجرد النظر السطحى الى مثل هذه الاعتراضات يظهر المرأة بمظهر الخارج على القوانين الطبيعية العامل على فناء النوع الانسانى ومضاعفة أخطار الازمات الاقتصادية ولكن الموضوع أخطر من أن نكتفى بالنظر السطحى اليه . لنسلم جدلا بأن أكثر من ٥٠ فى المائة من خريجات الجامعة يحجمن عن الزواج عندما يجدن لذة كافية فى الامور العلمية واستثمار تعليمهن العالى . ولكن تسليمنا بذلك ماهو الا تسليم بجانب من الحقيقة فقط ، ويجب أن نذكر انصافا للمرأة واقراراً للحق أن المرأة التى لا تتزوج تخدم المجتمع فى الغالب بطريق مباشر، طريق الانتاج العلمى والعملى واصلاح المساوىء الاجتماعية فعمل المرأة البيولوجى لا يصل وحده بالمجتمع الى الرقى والرخاء وانما الانسانية بحاجة الى مجهودها الموفق واستقلال مواهبها خارج المنزل كما هى بحاجة الى عملها الخاص داخله . أما ما يقال عن نتاج من يتزوجن من المتعلمات تعليما عاليا وان كن الأقلية فهو أن العبرة بالنوع لا بالعدد، وبالكيف لا بالكم . فلو لم تتعلم النساء هذا التعليم لكنا حقا اكتسبنا زيادة فى عدد الاطفال، ولكنا من ناحية أخرى كنا نفقد الاضافة الى الانتاج العقلى والثروة المعنوية، والاطفال الممتازين الذين لا ينجبهم غير أمهات المتعلمات تعليما عاليا

اما المشكلة الاخرى وهى زيادة مزاحمة المرأة للرجل فيما لو تعلمت تعليما عاليا فيكفى ان نقول لهدم هذا الاعتراض انه ناتج عن انانية الرجل فلو لم يكن الرجل انانيا حقا لما عمل على تضحية المزايا المعنوية التى تترتب على تعليم المرأة تعليما عاليا فى سبيل الاستئثار بالمزايا المادية بابعاد المرأة عن ميدان العمل بل هو قد يقدم على أكثر من ذلك فيعمل على ان يحرمها متعة التعليم العالى واللذة الروحية حتى يضمن عدم منافستها المادية فى أحد الايام . إن مثل هذا الاعتراض لا يتفق مع شهامة الرجولة ولا مع اقدام الرجل

الشافعي واضع علم أصول الفقه

للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الاداب

— ٧ —

١ — الدراسات الفقهية الى عهد الشافعي . ب — أهل الرأي وأهل الحديث
ج — الشافعي بين أهل الرأي وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د — وضع الشافعي علم أصول الفقه

ومذهب الشافعي الجديد وصل إلينا فيما ألفه بمصر من الكتب وقد سرد البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ — ١٠٦٥ - ١٠٦٦ م كتب الشافعي ولخصها عنه ابن حجر في ص ٧٨

(الرسالة القديمة ، ثم الجديدة - اختلاف الحديث ، جماع العلم — إبطال الاستحسان — أحكام القرآن — بيان الفرض — صفة الأمر والنهي — اختلاف مالك والشافعي - اختلاف العراقيين — اختلافه مع محمد بن الحسن — كتاب على وعبد الله — فضائل قريش — كتاب الأم — ...

وعدة كتب الأم : مائة وثيف وأربعون كتابا وحمل عنه حرملة كتابا كبيراً يسمى « كتاب السنن » وحمل عنه المزني كتابه « المبسوط » وهو المختصر الكبير والمنثورات وكذا المختصر المشهور — قال البيهقي : وبعض كتبه الجديدة لم يعد تصنيفها وهي : الصيام — والصداق — والحدود — والرهن الصغير - والاجارة - والجنائز - فانه أمر بقراءة هذه الكتب عليه في الجديد وأمر بتحريق ما يغاير اجتهاده قال : وربما تركه اكتفاء بما نبه عليه من رجوعه عنه في مواضع أخرى

وبالاجمال تبدو اعتراضات المتخوفين من تعليم النساء تعليما عاليا واهية لانها تنافي اصول المنطق والعدل والشهامة وما هي في صميمها إلا نتيجة للانانية اوالازمات الاقتصادية التي تجعل الناس يفتشون عن المرأة دائما شأنهم في كل شيء فيعملون على ارجاعها الى عقر الدار ناسين أو متناسين ماطرأ على العالم من تطورات فكرية واجتماعية واقتصادية خطيرة غيرت من وظيفة المرأة فجعلتها لاتقتصر على المنزل وتربية الاطفال وانما تشمل أيضا استخدام مواهبها خارج الدار او في قلب المجتمع وذلك هو العهد الجديد. والتعليم العالي هو الذي يهيء المرأة لهذا العهد الذي اصبح امرا واقعا فيجب ان نعترف به مختارين أو مرغمين

اسماء فهمي

قلت : وهذه الحكاية مفيدة ترفع كثيراً من الاشكال الواقع بسبب مسائل اشتهر عن الشافعي الرجوع عنها وهي موجودة في بعض هذه الكتب

ثم نقل ابن حجر : أن لأصحاب الشافعي من أهل الحجاز والعراق عنه مسائل وزيادات قال: وهذا يدل على أن (كتبا أخرى حملها عنه هؤلاء لأن هذه المسائل ليست في الكتب المقدم ذكرها)

وقد ترك ابن حجر في تلخيصه : كتاب « مسند الشافعي » ولا ندري : ان كان البيهقي قد تركه أيضا أم لا ؛ ويقول الرازي (ان كتابه المسمى « بمسند الشافعي » كتاب مشهور في الدنيا ، ص ١٤٦)

كان اتجاه المذاهب الفقهية قبل الشافعي الى جمع المسائل وترتيبها وردها إلى أدلتها التفصيلية عند ما تكون دلالتها نصوصا

وأهل الحديث لكثرة اعتمادهم على النص كانوا أكثر تعرضاً لذكر الدلائل من أهل الرأي

فلما جاء الشافعي بمذهبه الجديد كان قد درس المذهبين ولاحظ ما فيهما من نقص بدا له أن يكمله وأخذ ينقض بعض التفريعات من ناحية خروجها عن متابعة نظام متحد في طريقة الاستنباط

وذلك يشعر باتجاهه في الفقه اتجاها جديداً هو اتجاه العقل العلمي الذي لا يعنى بالجزئيات والفروع

ويدل على أن اتجاه الشافعي لم يكن الى تمحيص الفروع : ما نقله ابن عبد البر في « الانتقاء » من : أن احمد بن حنبل قال : « قال الشافعي لنا : أما أنتم فاعلم بالحديث والرجال مني فاذا كان الحديث صحيحا فاعلموني أن يكون كوفيا ، أو بصريا أو شاميا ؛ أذهب اليه اذا كان صحيحا » ص ٧٥

وطريقة علاجه لمسائل العلم تدل على منهجه قال أبو محمد بن اخت الشافعي عن أمه قالت : ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح بين يدي الشافعي ، وكان يستلقي ويتذكر ثم ينادي يا جارية هلمي مصباحا فتقدمه ويكتب ما يكتب ثم يقول : ارفعيه ، فقيل لأحد : ما أراد برد المصباح ؟ قال : الظلمة أجلى للقلب . مفتاح السعادة ج ٢ ص ٩١

وليس هذا النوع من التفكير الهادىء في ظلمة الليل تفكير من يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع

بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية باصول تجمعها ، وذلك هو النظر الفلسفي

قال ابن سينا في الشفاء « انا لا نشتغل بالنظر في الجزئيات

لكونها لا تتناهى وأحوالها لا تنبت وليس علمنا بها من حيث هى جزئية تفيدنا كمالا حكميا أو تبلغنا غاية حكمية ، بل الذى يهمنا هو النظر فى الكليات ،

وكان احمد يقول : الشافعى فيلسوف فى أربعة أشياء : فى اللغة — واختلاف الناس — والمعانى — والفقه (الرازى ص ٣٥)

وقد حاول الشافعى : أن يجمع أصول الاستنباط الفقهى وقواعدها علما ممتازا وأن يجعل الفقه تطبيقا لقواعد هذا العلم

وبهذا يمتاز مذهب الشافعى من مذهب أهل العراق وأهل الحجاز

د — وضع الشافعى لعلم أصول الفقه

اذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية الى ناحية علمية فهو أيضا : أول من وضع مصنفا فى العلوم الدينية الاسلامية على منهج علمى بتصنيفه فى أصول الفقه ، قال الرازى : اتفق الناس على : أن أول من صنف فى هذا العلم — أى علم أصول الفقه — الشافعى وهو الذى رتب ابوابه وميز بعض أقسامه من بعض وشرح مراتبها فى القوة والضعف

وروى : أن عبد الرحمن بن مهدى التمس من الشافعى وهو شاب أن يضع له كتابا يذكر فيه شرائط الاستدلال بالقرآن والسنة ، والاجماع ، والقياس ، وبيان الناسخ والمنسوخ ومراتب العموم والخصوص ، فوضع الشافعى رضى الله عنه « الرسالة » وبعثها اليه

فلما قرأها عبد الرحمن بن مهدى قال : ما أظن أن الله عز وجل خلق مثل هذا الرجل ثم قال الرازى : واعلم : أن نسبة الشافعى الى علم الاصول كنسبة « أرسطاليس » الى علم « المنطق » وكنسبة « الخليل » بن أحمد الى علم « العروض »

وذلك لأن الناس كانوا قبل « أرسطاليس » يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة لكن ما كان عندهم قانون مخلص فى كيفية ترتيب الحدود والبراهين

فلاجرم . كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة فأن مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلى ، قلما أفلح . فلما رأى « ارسطاليس » ذلك اعتزل عن الناس مدة مديدة واستخرج علم « المنطق » ووضع للخلق بسببه قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة الحدود والبراهين

وكذلك الشعراء كانوا قبل « الخليل بن احمد » ينظمون أشعارا وكان اعتمادهم على مجرد الطبع فاستخرج « الخليل » علم « العروض » فكان ذلك قانونا كليا فى معرفة مصالح الشعر ومفاسده فكذلك هنا الناس كانوا قبل الامام الشافعى يتكلمون فى مسائل « أصول الفقه » ويستدلون ، ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع إليه فى معرفة دلائل الشريعة وفى كيفية معارضتها ، وترجيحاتها ، فجاء الشافعى علم « اصول الفقه » ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع .. ثم يقول الرازى : واعلم ان الشافعى صنف كتاب « الرسالة » ببغداد ولما رجع الى مصر أعاد تصنيف كتاب « الرسالة » وفى كل واحد منهما : علم كثير ص ٩٨ - ١٠٢

ويقول « بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى ، المتوفى سنة ٧٩٤هـ ١٣٩١ - ١٣٩٢ م فى كتابه فى أصول الفقه المسمى بالبحر المحيط « فصـــل » : الشافعى أول من صنف فى « أصول الفقه » صنف فيه كتاب « الرسالة » وكتاب احكام القرآن واختلاف الحديث وأبطال الاستحسان وكتاب « جماع العلم » كتاب القياس — الذى ذكر فيه : تضليل المعتزلة ورجوعه عن قبول شهادتهم

ثم تبعه المصنفون فى علم الاصول ، قال احمد بن حنبل « لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعى »

وقال الجوينى فى شرح الرسالة : لم يسبق الشافعى أحد فى تصانيف « الاصول » ومعرفتها ، وقد حكى عن ابن عباس « تخصيص عموم » وعن بعضهم « القول بالمفهوم » ومن بعدهم لم يقل فى الاصول شيء ولم يكن لهم فيه قدم فانا رأينا كتب السلف من التابعين وتابعى التابعين وغيرهم فما رأيناهم صنفوا فيه «من نسخة خطية بالمكتبة الاهلية بباريس »

ويقول ابن خلدون فى المقدمة : « وكان أول من كتب فيه أى فى « علم أصول الفقه » الشافعى رضى الله عنه أملى فيه « رسالته المشهورة » تكلم فيها فى : الأوامر والنواهى ، والبيان ، والخبر ، والنسخ ، وحكم العلة المنصوصة ، من القياس

ثم كتب « فقهاء الحنفية » فيه ، وحققوا تلك القواعد وأوسعوا القول فيها ، وكتب المتكلمون أيضاً » ص ٣٩٧

وفى كتاب « طبقات الفقهاء » للقاضى شمس الدين العثمانى الصفدى : وابتكر الشافعى مالم يسبق اليه من ذلك : « أصول الفقه » فانه أول من صنف « أصول الفقه » بلاخلاف

ومن ذلك : « كتاب القسامة — وكتاب الجزية — وكتاب قتال أهل البغى » من نسخة خطية بدار الكتب الاهلية بباريس

ويقول صاحب كتاب « كشف الظنون » : وأول من صنف فيه « الامام الشافعى » ذكره الأسنوى فى التمهيد وحكى الاجماع فيه ص ٣٣٤

والباحثون فى هذا الشأن من الغربيين يرون فى « الشافعى » واضعا « لأصول الفقه » يقول (جولد زيهر) فى مقالته فى كلمة (فقه) فى دائرة المعارف الاسلامية : « واظهر مزايا « محمد بن ادريس الشافعى » : انه وضع نظام الاستنباط الشرعى من أصول الفقه

وحدد مجال كل أصل من هذه الاصول وقد ابتدع فى (رسالته) نظاما للقياس العقلى الذى ينبغى الرجوع إليه فى التشريع من غير اخلال بما للكتاب والسنة من الشأن المقدم ريث الاستنباط من هذه الاصول ووضع القواعد لاستعمالها بعد ما كان جزافا.

على أنا نجد فى كتب الفهرست فى ترجمة (محمد بن الحسن) ذكر كتاب له يسمى (كتاب أصول الفقه)

ويقول الموفق المكى فى كتابه (مناقب الامام الاعظم) نقلا عن طلحة بن محمد بن جعفر: أن أبا يوسف اول من وضع الكتب فى «أصول الفقه» على مذهب أبى حنيفة ج ٢ ص ٢٤٥

ونقل ذلك طاش كبرى زاده فى كتابه «مفتاح السعادة» ج٢ ص١٠٢

ولم يرد كتاب فى هذا العلم فيما أورده صاحب «الفهرست» لأبى يوسف من الكتب واذا صح أن لابى يوسف أو لمحمد كتابا فى أصول الفقه فهو فيما يظهر كتاب لنصرة ما كان يأخذ به أبو حنيفة ويعيبه أهل الحديث من الاستحسان

وقد يؤيد ذلك، أن صاحب «الفهرست» ذكر فى أسماء كتب أبى يوسف. كتاب الجوامع ألفه ليحيى ابن خالد يحتوى على أربعين كتابا، ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذ به ولم يكن فى طبيعة مذهب أهل الرأى الذين كان من همهم: أن يجمعوا المسائل ويستكثروا منها، النزوع الى تقييد الاستنباط بقواعد لا تتركه متسعا رحبا

على أن القول بأن أبا يوسف هو أول من تكلم فى (أصول الفقه) على مذهب أبى حنيفة لا يعارض القول بأن الشافعى هو الذى وضع (أصول الفقه) علما ذا قواعد عامة يرجع اليها كل مستنبط لحكم شرعى

وقد لا يكون بعيدا عن غرض «الشافعى» فى وضع «أصول الفقه»: أن يقرب الشقة بين أهل الرأى وأهل الحديث ويمهد للوحدة التى دعا اليها الاسلام

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع المدابغ أمام جريدة الاهرام
تليفون نمرة ٥١٣٩٤
لصاحبها حسن محمد
أول مكتبة افرنجية يملكها مصرى
تبيع بسعر الخارج
كتب الطب والجامعة المصرية والمدارس العليا والثانوية
تبيع المكتبة طبعة جديدة متقنة من رواية عودة الروح للاستاذ توفيق الحكيم وثمنها عشرة قروش
ويوجد أيضاً كتاب جهاد الأمم فى سبيل الدستور للاستاذ محمد شوكت التونى المحامى وثمنه ١٠ عشرة قروش

صفى الدين الحلى

— ٣ —

(تتمة)

كانت مصر إذ رحل اليها الشاعر فى عهد زاهر مثمر من أكثر نواحى الحياة، فهبط اليها كما يهبط الطائر الصادى على الروض الدانى اليانع: ينهل من موارده فى شوق ويتنقل على دوحاته فى طرب، ثم ينثنى عنه وقد ارتوى الى وطنه شاديا مترنما!

فقد أصبحت بعد أن ثل المغول عرش بنى العباس وأسدلوا على بغداد الستار، مركز الثقافة الاسلامية الأكبر وموئلها الحصين: تنهض فيها جامعة الازهر والمدارس الأخرى حولها بأعباء الرسالة العظمى للعلم والأدب، وتشترك سلاطينها بأيد عاملة نشيطة فى تأييد هذه الحركة وتغذية روحها بعوامل القوة: بما تحدثه من المدارس وما تغدقه فى كرم على العلماء والادباء من هبات وصلات

وكان عصر السلطان الناصر بن قلاوون من خير عهود دولة السلاطين الأولى: إذ كان السلطان نفسه — كما يقول السير وليم موير — «مثقفاً ثقافة عالية، درس علوم الفقه والقانون ونال شهادة فيها فكان يحب العلم والعلماء ويشاركهم فى كل أمر فيفيضون فيه»، وكثيرا ما يكون الملوك المثقفون نعمة على رسل الثقافة لما يملكون من حسن التقدير لأعمالهم، وصدق الشعور بحلاوة ثمراتهم، وقد روى عنه أنه أقطع أبا الفداء المؤرخ الشهير ولاية حماة تقديرا لمكانه وجزاء لما قدمه اليه من معونة فى بعض الحروب. وفى عهده كانت مصر تنعم بشىء من راحة الظافر بعد أن شلت حركات المغول وأنقذت الشرق العربى من بين براثنهم المسمومة، وبعد أن طاردت حملة الصليب المستكلبين فى هدم الاسلام والشرق، وقذفت بهم فى قوة الى البحر! ولكنها مع ذلك لم تكن تغفو عن حراسة هذا الملك وقطع أذناب العدو كلما امتدت اليه، وهو ملك شاسع مترام يمتد ما بين الفرات والحجاز وآسيا الصغرى وجنوب النوبة، ولما كانت إذ ذاك لا تزال طريق التجارة والرحلة بين أوربا والشرق قبل أن يكشف طريق رأس الرجاء الصالح، وعرفت مصر كيف تستغل هذا المورد الثرى أحسن استغلال، وكانت تجبى اليها ثمرات تلك «العاصمة الكبرى»، فقد حازت من المجد المالى ما يمكنها من مواصلة السير فى طريق مجدها العلمى والحربى.

لذلك لا نعجب أن نرى القاهرة حينذاك تموج بوفود رجال العلم والأدب فتحسن وفادتهم ، وأن نسمع صفي الدين وقد أقبل إليها فانتظم زمنا فى حاشية الملك الناصر يصـــوغ آيات المدح لمصر ومليكهـــا ، ويعود إلى وطنه فيلهج بأجمـــل الذكريات لما لقى فيها من روعة الكرم وحسن الضيافة . وقد اتصـــل أثناء أقامته فى مصر بحلقاتها الأدبية التى كان يمثل زعامتهـــا الكتابية (علاء الدين بن الأثير) رئيس ديوان الانشـــاء ، وزعامتها الشعرية « جمال الدين بن نباتة » الأديب الشهير ، وتوثقت بينهم جميعا روابط الصداقة والاخلاص ، فـــلم يهنأ بعد رحيله يتراسل معهم فى مساجلات أدبية ممتعة تعبر عن عواطف الشوق ويعترف فى احداها بزعامة ابن نباتة لجميع الشعراء

والآن نستعرض إحدى قصائده التى تجمع بعض هذه الأمور ، وقد قالها يوم احتفال مصر بيوم الخليج وابتدأها بوصف الربيع فى مصر :

خلع الربيع على غصون البان ... حللا فواضلها على الكثبان
وتتوجت هام النصون وضرجت ... خد الرياض شـــقائق النعمان
وتنوعت بسط الرياض فزهرها ... متباين الأشكال والألوان
والظل يسرق فى الخمائل خطوه ... والغصن يخطر خطرة النشوان
وكأنما الاغصان سوق رواقص ... قد قيدت بـــلاسل الريحان

واستمر هكذا فى أوصافه الجميلة التى يعبر بها عما أودعته طبيعة مصر الفاتنة فى نفسه حتى قال :

إنى وقد صفت المياه وزخرفت ... جنات مصر وأشرق الهرمان
واخضر وانيها وحدق زهره ... والنيل فيـــه ككوثر بجنان
وبة الجوارى المنشآت كأنها ... أعلام يـــد أو فروع قنان
نهضت بأجنحة القلوع كأنها ... عند المـــسير تهم بالطيران
والمـاء يسرع فى التدفق كلمـا ... عجلت عليه يد النسيم الوانى

وأخذ بعد ذلك يصف السلطان بالقوة والفصاحة والسيادة على جميع الملوك ، وليس الملوك فى الحقيقة إلا مظاهر للأمم من أكثر الوجوه ، فاذا كانوا أقوياء أو كرماء فما ذلك إلا فيض أنعمهم ومنحة رعاياهم ، وإذن فكل مدح للملك إنما يتجه الى الأمة التى أكسبته أسباب المدح ووهبته مايتيه به من أثواب المجد . ونود أن نشير هنا الى أن مصر لم تكن تنظر الى سلاطينها الذين كانوا فى الأصل مماليـــك إلا بعين التجلة ؛ لأنها كانت إذ ذاك تفهم معنى الوطنية كما يقررها الاسلام ، دينها الذى تعتز به ، وهو دين يقرأ طى حر يأمر أهله ألا يأنفوا من الحاكم المسلم العادل ولو كان عبداً حبشياً . وكذلك لم يكن هؤلاء السلاطين فى نظر مصر إلا جنداً مسلمين تربوا فى أرضها ودافعوا طويلا عن مجدها ثم ارتقوا باستيلائهم على شؤونها الحربية الى عرش الملك ، فرضيت بهم وعهدت اليهم بتمثيل قوتها فى السياسة والعلم والحرب ، فمثلوها أحسن تمثيل ، ثم لما فرغ دورهم أرخت عليهـــم الدول وبقيت مصر هى مصر الخالدة .

ومما قاله صفي الدين فى أحدهم وهو الناصر المذكور :

لا عيب فى نعماه إلا أنهـا ... يسلو الغريب بها عن الأوطان
شاهدته فشهدت لقمان الحجا ... ونظرت كسرى العدل فى الايوان
وشهدت منه فصاحة وسماحة ... أعدى بفيضهما يدى ولسانى
ملك اذا اكتحل الملوك بنوره ... خروا لهيبته إلى الأذقان

وقال :

أبقى قلاوون الفخار لولده ... إرثا وفازوا بالثنا مكاسبا
قوم إذا سئموا الصوافن صيروا ... للمجد اخطار الأمور مراكبا
عشقوا الحروب تيمنا بلقا العدا ... فكأنهم حسبوا العداة سبائبا
وكأنما ظنوا السيوف سوالفا ... والدن قدا والقسى حواجبا
يا أيها الملك العزيز ومن له ... شرف يجر على النجوم ذوائبا
أصلحت بين المسلمين بهمـــة ... تذر الاجانب بالوداد أقاربا
وحرست ماملكت من رجيم مارد ... بعزائم إن صلن كن قواضبا

* * *

كان لصفي الدين قدرة فائقة فى رسم المناظر الاخاذة بدقة الفنى وتأثر الشاعر ، وذلك لما وهبه من ميزتين عظيمتين : إحداهما دقة النظر وصدق المشاهدة ، والأخرى قوة الابتكار والتخيل . فقد كان يدرك بالأولى جزئيات الامور ونواحى المناظر التى تخفى على غير الموهوب ، ثم يتولى خياله ما أدركه فيحكم نسجه ويضفى عليه ألوانه ، ويزيد فوقه نقوشه ، فاذا بوصفه قطعة فنية رائعة تثير الاعجاب .

قام الشاعر برحلات عدة كما ذكرنا قبل، فى صحارى العرب والشام ومصر، وانتظم أزمنة طويلة فى حواشى الملوك الذين كان لهم غرام وشغف بالنزه الخلوية فى أودية حماة والحلة ومارذين فكان ذلك داعيا لشدة قربه من الطبيعة ومدنيا حبه لها، ولما كان بفطرته يملك نفسا شاعرة فقد استجاب دعوة الجمال وأخذ يرصد الطيور حائمة فى الجو، والوحوش هائمة فى الصحراء، والحيوان الأليف والسائم ينقش صورها جميعا فى شعره نقش المصور الماهر، وفى ديوانه أمثلة كثيرة لكل هذه الأوصاف.

ومن مظاهر أوصافه الدقيقة أيضا وصفه للخمر ومجالس الندامى، فان الصفى كان رجلا طروبا ممتافتا على موارد اللهو والسرور، يشرب من لذائذه الكؤوس الدهاق: يعاقر الخمر ويعشق النساء والرياحان ويختال بين الرياض، ويتجول فى الصحراء؛ غير آبه لما حرم من اللذة أو حل، وذلك لأنه اتخذ لنفسه مذهبا خاصا فى فهم أحكام الدين يطاوع هواه كل المطاوعة، وقد عبر عن هذا المذهب بقوله:

فارتكب أجمل الذنوب لنفع ... واعتقد فى ارتكابه التحريما
ثم تب وأسأل الاله تجده ... لذنوب الورى غفورا رحيما!

وتمادى فى هذا المذهب حتى أحل الخمر صراحة فقال:

نهى الله عن شرب المدام لأنها ... محرمة إلا على من له علم
وذاك بقدر الشاربين وعقلهم ... ففى معشر حل وفى معشر حرم
ولو شاء تحريما على كل معشر ... لقال رسول الله لا يغرس الكرم!

ولو صدق هذا المنطق المموه لكان العلم رخصة مؤذنة لأهله أن يرتكبوا كل لذة أثيمة، ولأنه قد مارسها فعلا واغتبق من كؤوسها واصطبح، عرف كيف يتغزل فى محاسنها ويصف آثارها عبارة تشهد له بالقدرة الفنية. ومما قاله:

سلاف تميت العقل فى حال شربها ... وتنعش منها الروح والجسم والقلبا
عجيبة وسط الدنان ونورها ... يفرق من لألاء غرتها الحجبا
اذا مسها روح المزاج تألمت ... وأزبد منها الثغر وامتلأت رعبا
وأعجب من بكر لها الماء والد ... وترجع أنى رام تقبيلها عنبى
هى الشمس إلا أنها فى شروقها ... اذا مزجت فى كأسها أطلعت شهبا
يعض عليها التائبون بنانهم ... ويندب كل منهم عقله ندبا

وعلى كل فلا يتردد المرء بعد أن يقرأ أوصاف الحلى أن يحكم له بأن يرتبته فى الصف الأول من شعراء الوصف فى الأدب العربى أما الغزل فقد كبا فيه جواده وخانه ذكاؤه إذ العقل لا يغنى وحده فى هذا الميدان، وإنما مرد الامر إلى القلب الخفاق والعاطفة المشبوبة، وشاعرنا لم يكن من فئة المحبين الذين يؤمنون باتصال الوجدان ويظلون فى نجواهم باكين من هول الذكرى وألم الهجر وانما كان رجلا حسيا يعترف حقا باللذائذ المادية ليس غير.

لهذا كان غزله قسمين متباينين، أولهما الغزل النسائى المألوف، والثانى غزل الولدان أو مايسمونه بالغزل المذكر، ونأسف إذ نقول إن النوع الثانى كان أرق وأصفى وأدل على الصدق من الأول، ولكننا لا ندهش كثيرا إذا ذكرنا مبادئه الخلقية التى وصفناها قبل؛ ويلوح لنا ان هذا الانحلال الخلقى لم يكن قاصرا عليه وحده وإنما كان ظاهرة عامة للولاة والأمراء الذين يستقلون فى اطراف المملكة ببعض المناطق؛ لان وفرة المال وتحقق أسباب النعيم مع قلة الشواغل الادارية، كانت تغريهم بالعكوف على الملاهى والتمادى فى الاباحة. أما غزله الأول ففيه جفاف وتكلف وترى عليه سمات التقليد واضحة ومما قاله فى مذهبه:

خلياني من فترة النسوان ... وانعشانى بنشطة الغلمان!
ليس يصبو لربة الخال قلبى ... بل برب الاقراط جن جنانى!

***

تلك هى الاغراض البارزة التى تستحق الدراسة فى شعر صفى الدين، أما الاغراض الاخرى فهى لا تخرج عن السبل التى طرقها إخوتها، وجملة القول فيها أن الزهد والالغاز ليسا الا مثلين من التقليد والتكلف، لأن الرجل كما عرفنا كان متهتكا مسرفا، وإنما أراد أن يعارض قصائد ابن الفارض وأمثاله من المتصوفة المخلصين، ولأن نوع الالغاز أبعد ما يكون عن معنى الشعر. وهو، وإن أجاد فى الرثاء حقا، وأبدع فى تصوير فجائع الموت! ، نستطيع أن ندرك إجادته فيما درسنا من مدحه، لأن معناهما واحد وإن اختلفا فى مناسبة كل منهما مع الحياة أو الموت. غير أنه أتى فى باب الحكمة بكثير من التجارب الصادقة التى يعززها العقل والواقع وأكثر ما تدور حول الصداقة وآداب الاجتماع، فلم يبق إذن غير المجون وهى ما نستميح القارىء أن يعفينا منه صونا لحياء القلم وحرصا على وقار «الرسالة»

(ويعد) فهذه شخصية كبيرة تجمع بين الوسامة والدمامة، ولكنها فى جملتها جديرة بالخلود، على انها آية بينة تقرر ان الأدب العربى قد ظل بعد موت بغداد يتنسم الحياة قويا ناضرا؟

دار العلوم ... ضياء الريس

مِنْ طرائفِ الشِّعرِ

النشـــيد !

للشاعر الوجداني علي محمود طه

عندما ظلّلني الوادي مساء ... كان طيفٌ في الدجى يجلس قربي
في يديه زهرةٌ تقطر ماء ... سَمِعَتْ أذني بها أنّاتِ قلبي !

قلتُ من أنتَ ؟ فلبّاني مُجيباً ... نحن يا ضاحِ غريبانِ هنا !
قد نزلتُ السهلَ والليلَ الرهيبا ... حيث ترعاني وأرعاك أنا ! !

قلت يا طيفُ أثرتَ النفسَ شكا ... كيف أقبلتَ وقل لي من دعاكا ؟
قال أشفقتُ من الليل عليكا ... فتتبعتُ الى الوادي خطاكا !

ودنا مني وغنّاني النشـــيدا
فعرفت الصوت واللحن الشجيا

هوَ حبّي هام في الليلِ شريداً ... مثلما هِمتُ لنلقاك سويّا !

وتعانقنا وأجهشنا أنيناً ... وانطلقنا في حديثٍ وشجونْ
ودَنا الموعدُ فاهتجنا حنيناً ... وتنظرناكَ والليـــلُ عيونْ

أقبلَ الليلُ فأقبلْ موهنا ... والنفسْ مجلسَنا تحت الظلالِ
وارقبي نصدحْ بألحان المنى ... ونعبُّ الكأسَ من خمر الخيال

أقبلِ الليلةَ وانظرْ واسمعِ ... كلُّ ما في الكونِ يشدو بمزارك
جئتُ بالاحلام والذكرى معي
وجلسنا في الدجى رهن انتظارك

سترى يا حسنُ ما أعددتُهُ ... لكَ من ذخرٍ وحسنٍ ومتاعْ
هو قلبي في الهوى ذوبتُهُ ... لكَ في رفّاف لحنٍ وشعاعْ

وهو شعرٌ صوّرتْ ألوانه ... بهجةَ الفجر وأحزانَ الشفقْ
ونشـــيدٌ مثّلت ألحانُهُ ... همساتِ النجم في أذن الغسق

ذاك قلبي عارياً بين يديكْ ... أخذتْهُ منك روعاتُ الالـه
فتأملْه دماً في راحتيـــكْ ... وذماءً منكَ يستوحي الحياه

باكيَ الاحلامِ محزونَ المنى ... ضاحكَ الآلامِ بسّامَ الجراحْ
لم يكنْ إلاّ تقيّاً مؤمناً ... بالذي أغرى بحبيكَ الطماحْ

يتمنى فيـــكَ لو يفنى كما ... يتفانى الغيمُ في البحر العُبابْ
أو يُلاشي فيك حياً مثلما ... يتلاشى في الضحى ومض الشهاب

زهرةٌ أطلعها فردوسُ حبكْ ... استمدت نورَها من ناظريكْ
خفقتْ أوراقُها في ظلّ قربك ... وسرتْ أنفاسُها من شفتيكْ

هي من حسنكَ يحيا وتمونْ ... فاسقِها يا حسنُ إعصارَ المنونْ
أوْلِها الدفءَ من الصدر الحنونْ ... أوفِها النورَ من هذي العيونْ

دمعُها الاندادُ والعطرُ الشجا ... وصدى أناتِها همسُ النسيمْ
فاحبُها منكَ الربيعَ المرتجى ... تصدح الايامُ باللحن الرخيمْ

لو امكنتني فرصة !

ريان من ماء الحياة ... وسرها في وجنتيه
كالجدول المفتون في ... وشي الرياض انيه
غنّى بلحن مسكر ... وبلابل الوادي لديه
لا يرتوي منه الظما ... ء ولا ترى طيراً عليه
ومن العجائب أن ترى ... ناراً تشب بوجنتيه
فتثير نيراناً بقل ... بي كلما أرنو اليه
لو امكنتني فرصة ... الطفتها من شفتيه

شرق الاردن — حسني فرير

ابليس

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

أسرفتَ يا إبليس فى الوسواس
فأعوذ منك بربّ هـــذا الناس

أغويتَنى من بعد ما استدرجتَنى
مســـتحوذاً حتى على انفاسى

حسّنتَ فى عينى الشرورَ فجئتها
وضممتُ أرجاساً على أرجاس

ونفـــذتَ فى أعماق قلبى فاتحا
حتى ملكتَ منافذَ الاحساس

فتعاورتنى للشـــكوك وساوس
سودٌ وعافت مجلسى جُلاّسى

أفرغتَ قلبى من رضىً يقينه
وملأت بالشكّ المبرّح راسى

من بعـــد ماجرّعتنى مُرَّ الاسى
أترعتَ بالمصـــل المُخدِّر كاسى

إبليسُ ما أشركتنى فى صفقة
إلاّ قضيتَ علىّ بالافـــلاس

ابليسُ أنت ولىُّ كلّ ذوى الهوى
ابليس انك فى الولاية قاس

لم يبق مما كان لى قبلاً سوى
ثوبٍ كخائبة المُنى أدراس

تُلقِى العداوةَ موغراً بين الورى
فتثـــير أجناداً على أجناس

ولو اعتقدتَ بهم شعوراً فى الردى
لتبعتَهـــم تفوى الى الارماس

تُذكى الحروبَ وأنت فيها سالمٌ
مما يضرّ بأنفس الأحـــلاس

أتعستَ أقواماً لتســـعد غيرهم
والشرّ كل الشرّ فى الاتعاس

كوخٌ حقير ثم قصرٌ شاهقٌ
ومآتمٌ فى جانب الاعراس

لا تستريح وأنت عنهم فى غنىً
حتى توسوس فى صدور الناس

مالى سوى دمعٍ يفيض ندامةً
ما سوف أكتبه على القرطاس

ذكريات فى الجزيرة

للاستاذ الحاج محمد الهراوى

لى فى الجزيرة ذكريات كلما ... خطرت تهز من الحنين فؤادى

فلقد لبست الغىّ فى شرخ الصبا ... ومضيت طوع مراده ومرادى

وشربت من كأس الهوى وأبحته ... وعصيت فيه رويتى وسدادى

أيام أنعم بالشـــباب وبالمنى ... ولقاء من أهوى على ميعاد

نلهو ونمرح ، والهوى ما بيننا ... نجوى يراوح بيننا ويغادى

تتحدث العينان فى لحظيهما ... عمـا يحز الشوق فى الأكباد

متجاذبين مـا حديث صبابة ... ولذيذ وصل بعد طول بعـاد

متبادلين على الشراب وقبله ... قبـــلات شوق فى عناق وداد

فوق الغدير وبين أزهار الربى ... فى ظل غصن الدوحة الميـاد

تخشى النسيم تشى بنـا خطراته ... إن مر بالعذال والحساد

مستأثرين نفار من عبث الصبا ... ونخاف جائحة الزمان العادى

متعانقين نهيم فى وادى الكرى ... متيقظين على الحمام الشادى

متساقين من الرضاب ، وإنه ... خمر الهوى فى غيـــه المتمادى

تمضى بنا الساعات لا ندرى لها ... كيف انقضت فى يقظة ورقاد

فدع الهوى العذرى بعد زمانه ... ما مر من زمن فغير معاد

جمح الشباب ومائنيت عنانه ... وجرى بومامن وازع أو هاد

فاذا الغواية موبقات كلها ... تأتى على الارواح والاجساد

فغسلت بالحج المبارك حوبتى ... ورجعت حين رجعت فى الزهاد

ولقد مررت على الجزيرة لا كما ... عهـــدته فى غبى مع الوراد

فاذا بها وكأنها حجت معى ... أو أننا عـــدنا معا لرشاد

بين الموسيقى الشرقية والغربية

— ١ —

تقوم الآن حركة طيبة فى الأوساط الموسيقية ، غايتها النهوض بالموسيقى الشرقية الى المستوى الذى يليق بها حتى تكون له آدابه وأوضاعه وأصوله . وكان طبيعيا أن تتشعب الآراء ، وتتنوع الأفكار ، والمدار هو الكيفية التى بها ترتفع الموسيقى الشرقية الى مكانتها . وسمعنا أثناء ذلك اسم الموسيقى الغربية تلوكه الألسن وتتجه اليه الأفكار كأنه الغاية التى اليها تتجه ، والمستوى الذى اليه ترتفع ، غير أن هناك ألسنا لم تنطق به وأنظاراً لم تتجه اليه ، بل بقيت رابضة فى وكرها لا تحيد عنه . وبين هذه وتلك تقف الفكرة الأساسية مترددة محجمة ، وإن سارت فهى خطى بطيئة متمهلة .

وقد رأيت أن أجعل فى نقط بسيطة غير مركبة ، أهم الاختلافات التى بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، وذلك بأن أضع أمام القراء صورة حقيقية للأصل الذى أتكلم عنه ، وأن أقسم تلك الفوارق التى بينهما تقسيما منظماً صحيحا لتكون أمام من يطلع عليها صورة مرتبة غير مشوشة ، مع اختصارى قدر ما أصل اليه .

فمن رأى هذه الكلمة خلوا من الاطالة والشرح فليعذرنا فلسنا نكتب كتاباً ليحفظ ويكون حجة ومرجعا ، وانما هو مقال يجمع بين الفائدة والترويح ، وعلينا العبد عند ما نريد أن نكتب كتابا أن نراعى الدقة جهدنا وأن نختصر فيه أو نجمل .

تنقسم الفروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية الى ناحيتين رئيسيتين ، للناحية الأولى : وهى الناحية العامة : وفيها تظهر روح كل موسيقى وترتيبها وموافقتها لأخيلة وأمزجة مؤلفيها ، ومناخ البلاد التى وضعت فيها وما لها من رقى وانحطاط ، وهذه الناحية قد يكتب فيها الأديب المطلع كما يكتب الموسيقى ، ولعل الأديب يكون أكثر توفيقاً فى الشرح والوصف . أما الناحية الثانية فهى التى تتناول الناحية الفنية من بحث الأغراض التى يذهب اليها التأليف الى اختلاف الأنغام الى طرق التلحين ، ثم الى شرح الأوزان والمقاييس وما الى ذلك من أقسام تتصل بالموسيقى من ناحيتها الفنية . وهذه الناحية هى التى أرجو أن أقصر عليها عنايتى وأن أستطيع توضيحها وتقريبها الى الافهام .

الموسيقى كالأدب اللغة صورة ناطقة حية للعصر الذى وضعت فيه ، والأمة التى نشأت منها ، وتكاد اغراض الموسيقى تشابه الاغراض التى يذهب اليها أدب اللغة فى كثير من الحالات : « فالموسيقى الحماسية » هى التى توضع إما لتعبر عن عاطفة قومية وطنية أو لتثير الحمية والاقدام فى النفوس ، وهى تكون تلحينا لاناشيد كنشيد المرسليز الافرنسى ونشيد اسلى يامصر المصرى ونشيد الجمهورية التركية ، أو تكون فى موسيقى صامتة Sans paroie كما فى « مسير الحرب » March Militaire لشوبرت أو « مسير الحرية » لصرصه ولعل هذا النوع من الموسيقى الصامتة فى الموسيقى الشرقية غث لا قيمة له لا يكاد يبعث حماسة أو يوقد حمية اذا استثنينا بعض المسيرات الحربية التركية . يلى هذا النوع من الموسيقى ، موسيقى اللهو والمراقص ، وهى التى تعزف فى الحفلات ودور اللهو والتى يرقص على أنغامها الراقصون والراقصات ، وهذا النوع من الموسيقى هو أساس الموسيقى الشرقية قديما وما زال متصلا بها الى الآن وإن كان التهذيب قد داخله فى كثير من نواحيه . أما فى الموسيقى الغربية فلتطور عكسى فبعد أن كان هذا النوع فى بدء النهضة الموسيقية راقيا فنيا من نوع الكلاسيك صار يتدهور حتى الحرب التى فسقط سقوطا شنيعا وأصبح خلوا من أى شاعرية أو فن والآن اتكلم عن الموسيقى الدينية فهى فى الموسيقى الغربية أساس باقى الأنواع ، فمن معابد روما وهيا كلها انتشرت الموسيقى الدينية فى العالم الغربى ، وكان رجال الدين فى أول أمرهم يقاومون تسرب موسيقاهم الى الخارج بكل شدة ، وكانوا يحافظون عليها كل المحافظة ولكنها ذاعت وانتشرت رغم كل حيطة أو صد ، وكل من حملوا علم النهضة الموسيقية كانوا فى بدء اشتغالهم بالموسيقى يدخلون الكنائس منتظمين فى سلك المنشدين أو لاعبى الارغن وبعد مضى مدة على اشتغالهم وتمرينهم كانوا يخرجون فينشرون تلك الروح التى تأثروا بها فى فجر حياتهم الفنية ، واذكر من هؤلاء النوابغ شوبرت مؤلف أوبرا فيرابراس ، فقد كان أحد المنشدين بكنيسة ليشتنتال وهاندل مؤلف (نيرو) و (ألميرا) و (وراد ميستر) كان عازفا على الأرغن فى كنيسة جوبرتزبرج ونشأ هايدن فى كنيسة القديس اسطفان بفينا . وكانوا جميعا عند ما تنضج أرواحهم وتكمل فيهم بوادر النبوغ ، يتمردون على الكنيسة ويخرجون الى العالم الحر الطليق لتحلق أرواحهم فى فضائه متحررة من القيود التى فرضت

عليها فى المعابد . وأعظم القطع الدينية هى (الأوراتوريو) التى منها نشأت (الاوبرا) . أما فى الموسيقى الشرقية فكيان الموسيقى الدينية منعدم لا أساس له ، هذا باستثناء الهند والصين فان لموسيقاهم الدينية طابعا من الرهبة العميقة والتأثير ومن أكبر مؤلفيهم الموسيقيين (تاجور) . أما فى الاسلام فالموسيقى تكاد تكون بدعة لا تحليل لها وان كان هناك شيع وطرق تقيمها فى أذكارها فهى منظور اليها نظرة بغيضة ، وان كنا لا نستطيع أن نغفل ذكر (المولوية) ومركزهم الموسيقى بين موسيقيى الاتراك القدماء . وأما فى الديانة القبطية فللكنائس تراتيلها وأناشيدها ولكنها على حال من السذاجة الفطرية لا تجعل لها أهمية من الوجهة العملية وإن لم تخل من خطرها فى التاريخ الموسيقى فهى أصل موسيقى العالم اذا وصلنا موسيقى القبط بموسيقى الفراعنة . ننتهى من الموسيقى الدينية لنتكلم عن الموسيقى التمثيلية ، فهى ركن هام من أركان الموسيقى لا يشتغل به إلا من أوتى قدرة واستعداداً خاصاً ، فكثيرون من نوابغ الموسيقيين الغربيين من اوتوا فى انواع كثيرة من الموسيقى حظا وافراً ولكنهم لما وصلوا الى الموسيقى التمثيلية رأوا أنهم لا يستطيعون أن يضربوا فيها بسهم وخير مثل لنا هو (بتهوفن) الخالد فقد حاول محاولة واحدة فى الموسيقى التمثيلية هى (أوبرا فيدليو) رأى بعدها انه ليس من رجالاتها فرجع الى السيمفونى والسونات واعظم من وضع فى الموسيقى التمثيلية الغربية هو (فاجنر) إله الاوبرا و(لوهنجرين) (ودانهوزر) ومقطوعاتهم تشهد لما نقول اما فى الموسيقى الشرقية فلم يعرف هذا النوع الا حديثا ومازال فى مهده لم يشب عن الطوق . بقى امامنا بعد ذلك آخر قسم وهو قسم الموسيقى التصويرية وهو فى رأينا اجل الاقسام واخطرها ويكون عادة موسيقى صامتة تصور وتشرح مختلف العواطف والمناظر والمؤثرات ومن اوائل من بدأوا بعمل السيمفونى التصويرية (هايدن) ثم (موزارت) ثم سيدهم اجمعين (بتهوفن) وفى الحق يمكننا بوجه عام اعتبار كل انواع الموسيقى تصويرية ، اذ الموسيقى كالشعر يعبر كل بيت منها اوقصيدة عن فكرة أو يصف موضوعا ، ويستثنى من ذلك (الدراسات) الخاصة وهى التى يطلقون عليها اسم „ Etude „ فانها تكون عادة لدراسة النغم فى دائرة قواعده واصوله والموسيقى الشرقية خلو من الموسيقى التصويرية ، وماجلها إلا دراسات للانغام ولا يمكن اعتبار البشارف والسماعيات والبستات إلا نوعا من الـ etude فلا تعبر عن فكر او تصف موضوع

ولعل معترضا يقول ، أو ليس ذلك الراعى الجالس على حافة الغدير او وسط المراعى ينقل اصابعه على مزمارة وهو يرعى غنمه فيبعث انغاما هى السحر تأثيرا! اليس يصور بانغامه مايجيش بصدره من عواطف و آمال وما يتلاعب بفؤاده من أميال وأفكار ! واليس يصور بانغام مزماره ذلك الغدير بعذوبته وتلك المراعى بخضرتها ونضارتها ، وما الى ذلك من تصوير . هذا هو الحق ولكنه تصوير ساذج ضعيف إلا إن جعلنا من مصورى القرية الذين يرسمون صور عودة الحجاج وماشابه ذلك مصورين لهم خطرهم واهميتهم ولكن فى الموسيقى الشرقية الحديثة ، هناك من قام بمحاولات فى هذا النوع علها تسير الى التقدم فهى بعد فى مهدها

والآن نتكلم عن الفروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية من الوجهة العامة فاول مانلاحظه هو تعدد النواحى التى ذهبت الى التعبير عنها الموسيقى الغربية واقتصار الموسيقى الشرقية على نوع يكاد يكون واحدا ، ويشبه ذلك شعرا متين ، تناول فى الاولى كل ماتذهب اليه اغراض الشعر من وصف وغزل ومدح وهجاء ورثاء . . . . ، واقتصر الثانى على غرض واحد لا يتعداه من تلك الاغراض .

كذلك الامر فى الموسيقى الشرقية . لم تتعد كونها موسيقى للهو ومراقص وهى تكاد تقصر نفسها على هذا اللون فقط لا تبدله ولا تنهض عنه بينما نجد ان للموسيقى الغربية مذاهب واغراضا متعددة متلونة لا يكاد ينتهى منها الباحث . ولعل ذلك راجع كما ارى الى ان نشأة الموسيقى الشرقية لم تكن بالنشأة اللائقة بها كفن سام له آدابه ، فهى قد نشأت فى بلاد الفرس والعرب بين الموالى والقيان وفى الحانات التى كان ارتيادها محرما على ذوى المكانة الادبية . ومع ان بعضا من الخلفاء قد اهتموا بامر الموسيقى وعطفوا على المشتغلين بها فان ذلك كان ابعد عن انفسهم فى مجلس شراب وانس لا مجلس جد واحترام وظل الامر كذلك حتى انتقلت الخلافة الى الاتراك فابتدأت الموسيقى ترفع رأسها لتحل محلها الذى كان ينبغى لها ان تحله من قبل وكان ذلك باشتغال سلاطين آل عثمان انفسهم بالموسيقى ومارال « سوزدلار ييشروى » تأليف السلطان سليم خليفة المؤمنين آيه من آيات الموسيقى الشرقية .

ومما يؤسف له حقا ، ان التراث الفنى للموسيقى العربية قديما مفقود ، إذ لم تكن الحروف الموسيقية (النوتة) متداولة ، أو لعلها

كانت متداولة إلا ان ماوصل الينا منها كالطلاسم لاحل له ولابيان. وكانت النتيجة اننا لم نرث عنهم سوى الناحية الادبية وهي كما قلنا لاتشرف في قليل ولا كثير ، بل لعلها قد اثرت ازرا الى في الأفهام.

بقيت الآن ملاحظة ثانية على الفروق بين موسيقى الشرق وموسيقى الغرب، تلك هي ضعف الاولى وخلوها ، وامتلاء الثانية وقوتها، وهذا فيما أرى يرجع لسبب لاعملك.

ينشأ الموسيقى الغربي بين جبال وصخور وبحار عظام تمثل قوة الطبيعة وعظمتها وتهب عليه العواصف وتنقض الصواعق وترعد في سمائه الرعود فعندما تجول في مخيلته الموسيقية فكرة تراه تاثر فيها بتلك المؤثرات التي احاطت به والتي تكيفت بها عاطفته ومخيلته. فتراها في صوته الاجش القوي وفي موسيقاه الممثلة الضخمة

اما نشأة الموسيقى الشرقي فعلى ضفاف نهر عذب تسطع عليه شمس صافية وتهب من حوله نسمات تتهافت في الرقة واللطف ، وشد ما قاساه من قسوة الطبيعة وبطشها لفحة حر أو قرصة برد لاتلبث حتى يصفو الجو ويعتدل النسيم

ذلك مايحيط بالموسيقى الشرقي وذلك مايوحي اليه بفكرة موسيقاه وهذا ماترتاح الى سماع التعبير عنه اذنه وهذا سر تلك الرقة التي نشاهدها في موسيقاه وهي ليست منقصة أو عيبا ولكن الضعف هو ضعف التعبير عن الفكرة كالبيت من الشعر يصف البستان النضر والمنظر الجميل في اسلوب ضعيف وفكرة غثة وليس العيب فيها عيب الموصوف بل عيب القصور في التعبير وضعف شاعرية الشاعر

ورقة الموسيقى ليس معناها ضعفها من الناحية الفنية، بل لعلها تكون قوية كل القوة وهي تميل رقة ولطفا ، ولعل من يسمع Romance لبتهوفن يمكنه ان يفهم ما أعنيه تماما بقوة الموسيقى ورقتها مجتمعين معا .

بقي الآن الحديث عن تركيب الانغام في كلتا الموسيقتين والاوزان والتاليف فيهما، وارجو أن تتاح لي الفرصة قريبا للكلام عنهما في اعداد قادمة من (الرسالة)

مدحت عاصم

شـــركة مصـــر لغزل ونسج القطن

بالمحـــله الـــكبرى

تصنع أحسن وأجود وأمتن أنواع

الـكستـــور

لملابس الرجال والسيدات والاطفال

وتقدمه الى الشعب المصري الكريم

باسعار لا تزاحم

اطلبه من مصنع الشركة بالمحلة الكبرى ومن تجار المنافاتورة ومن محلات

شركة بيع المنسوجات المصرية بالقاهرة بشارع فؤاد الاول وبالموسكي وبالاسكندرية

والمنصـــورة وســـوهاج.

العلوم

جراحة المخ

للدكتور فريدريك دامرو

استخلصها الدكتور احمد زكى

تقدمت جراحة الأبدان تقدما كبيرا معروفا للناس ففتر إعجابهم به الا فيما تستجد الايام منه . وكان طبيعيا ان يأتى دور الرأس ، ذلك العضو المخرف المرهوب ، لتظهر الجراحة فيه من المهارة والبراعة مثل الذى أظهرته فى سائر الاعضاء .

وقد بلغ التقدم فى هذه الناحية فى العصر الحاضر مبلغا قمينا باعجاب العلم ، هواته ومحترفيه ، إعجابا قد يبلغ حد الهلع اذا لمح اللامح بعينه داخل حجرات العمليات فرأى تلك الجرأة التى يأتيها الأطباء فى تناول المخ الحى حتى كأنه بعض الأحشاء ، ورأى كذلك شدة استمساك المخ نفسه بالحياة رغم ماتلعب به تلك الايدى اللبقة وتقطع منه تلك «المشارط ذوات المكاشط» .

فى عام ١٩٣١ بمدينة كليفلند بالولايات المتحدة ، اقتطع الدكتور جيمس جاردنار النصف الايمن كله من المخ ، ومع ذلك صحت المريضة وقامت بعافية ! وكانت امرأة فى الحادية والثلاثين ، ولها ولدان صغيران ، عانت داء الصرع عشر سنين ، وانتهى بها إلى أوجاع مبرحة فى الرأس ، وإلى بصر أخذ يتضاءل ، حتى أوشك يضيع ، كل هذا بسبب خراج داخل جمجمتها كان ينمو ويزداد ضغطه فيكاد يقتلها ألما . خُلق النصف الايمن من رأسها ، ثم أزال الدكتور جاردنار جزءا من الجمجمة قطره أربع بوصات ونصف ، وقطع بطانة المخ فتراءى

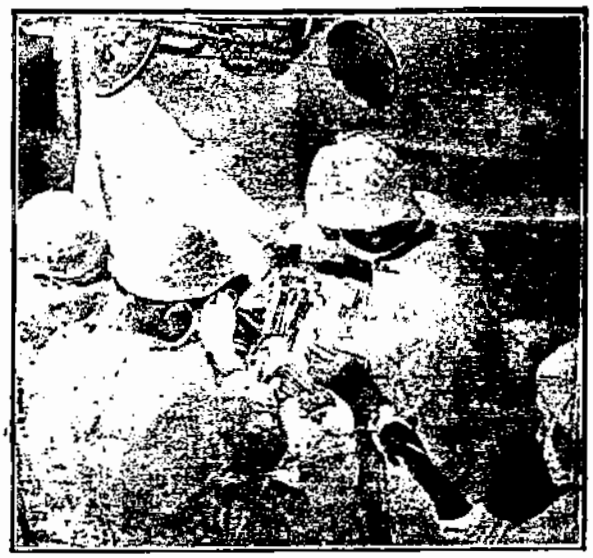

فى هذه الدرجة من العملية انشقت جلدة الرأس ووضعت للاشباك فى أطراف هذه الجلدة لتبعدها عن عظم الجمجمة وقد انكشف

لهشىء غريب نام كالقرنبيط ، امتد وتفرع كالسرطان حتى عم النصف الايمن كله من المخ . أما النصف الايسر ، فقد كان صحيحا سليما ، وهو النصف الأخطر لاحتوائه مراكز الكلام والكتابة فضلا عن سيطرته على النصف الأيمن من الجسم.

كان الدكتور جاردنار يعلم ان حُنَّاقا من الأطباء قبله حاولوا إزاحة النصف الأيمن من المخ لبعض المرضى ، وان الموت كان نتيجة مؤكدة فى كل حالة ، ومع علمه هذا أقدم على ما أقدم عليه لأنه كان المخلص الوحيد الذى بقى للتعيسة المسكينة.

ويبدين بارعتين ليقتين عقد الشرايين والأوردة بأناشيط محكمة أوقفت نزف الدماء ، ثم أخذ يكشط المادة المخية بما فيها الخراج حتى أفرغ نصف الجمجمة ، وعندئذ ملأ الفراغ بمحلول دافىء من الملح ، ثم رد العظمة الى موضعها ، فشد

الرأس. ثم أثبتها بالحرير، ولم أطراف جلدة الرأس فخاطها، وانتهت العملية بسلام

وبعد ساعات أفاقت المريضة فتعرفت أصدقاءها وتحدثت اليهم، وأسرع شفاؤها، وكانت في نقاهتها تقرأ وتكتب، وذهبت عنها أوجاع الرأس ونوبات التصرع. مع وأن ذراعها ورجلها اليمنيين ظل بهما شيء من تيبس وصلابة، الا أنها استطاعت ان تمشي، وبعد ثلاثة أشهر ونصف من يوم العملية كانت من الصحة بحيث استطاعت ان تعود الى ما كانت عليه من العناية بوليدها بنفسها

ان من أغرب خصائص المخ الانساني مقدرته على الاستفادة من عثرات تخال قاضية. اذكر حادثة من حوادث الحرب الكبرى: جيء بجندي من خط النار، وكانت مقدمة رأسه مرضعة بشظايا قنبلة، فأخرجنا قطعة منها قطرها بوصتان سكنت من المخ مسكنا عميقا بين قصبه الأماميين ولم نجرؤ أن نمس بقية القطع لتباعدماعينها، ومع ذلك شفي المريض شفاء معجزا. لم يشل. ولم تصب حواسه بسوء، وكل ما بقي عنده بطء في الكلام ونسيان للمواعيد

وفي الرابع من يوليو عام ١٩٣٠ وضع يافع في الثامنة عشرة من عمره صاروخين مشتعلين في اسطوانة مضخة هواء من تلك التي تستخدم لنفخ إطارات العجلات، فانتسفا بشدة عظيمة قذفت بعود المضخة الحديد في رأس الشاب، دخل من قرب عينه اليمنى واخترق مخه حتى برز من ناحية الرأس الأخرى وجاء الدكتور جويل سوانسون، فاعطاه مصلا Antitoxin يقيه كزاز الفك وعقم ما تا من طرق العود باليود، ثم انتزعه. واشتفى الشاب واستكمل سنة في دراسته الثانوية ولم يتأثر عقله من الحادث أي تأثر ظاهر

وفي إحدى المصحات الاوربية تسجلت حادثة اخرى غريبة: رجل حداء انتابه جنون وفي اثناء احدى النوبات اراد ان ينتحر فدق المسامير في رأسه وجيء به الى المستشفى وبرأسه خمسة مسامير طول الواحد منها بوصتان كلها غائرة في المخ. فانتزعها الجراح فصح المريض بعدها وغادر موفور العافية

وأغرب من هذا كله قصة فاعل عاش عشرين سنة من بعد أن نفذ في رأسه قضيب سمكه بوصة بسبب انفجار. دخله من دون عظمة الصدغ الايسر ومر في العين اليسرى ففقاها، وجزء كبير من المخ فأتلفه، ثم خرج من قمة الجمجمة. استعاد هذا العامل صحته واستمر يعمل في الحقل حينا ويشتغل حوذياً حينا، ويجيد في كلا العملين على السواء. فلم تكن منه يوماً شكاة على اختلاف مستأجريه.

لقد أفادت هذه الحوادث العلم، وقعت اتفاقا فاعانت الاطباء على تفهم هذا العضو الخطير من الجسم، فاخذوا شيئا فشيئا يجمعون عنه الحقائق بما يأتيهم عفواً من هذه الاصابات وبما يقصدون من دراسته في مرضاهم، وبتأثير ١ و ٢ بعد الموت اذا خاب العلاج. وكذلك باهليا مراكز بتيارا.. الكهرباء في رؤوس القردة والكلاب

في الحرب الفرنسية البروسية استخدم الكهرباء طبيبان ألمانيان، «جوستاف فرتش» و«ادواردهتسج» استخدماها في تنشيط أنخاخ الجرحى وأحدثا لأول مرة حركة في الجسم الانساني بواسطة التيار، الجسم فاقد الشعور. مسا بقطب التيار موضعاً من المخ فتحرك الرجلان، ومسا موضعاً آخر فتحرك الرأس، ثم مسا ثالثا فتحركت الاصابع. وزاد في ايضاح العلاقة التي بين مراكز المخ وأعضاء الجسد تجاربُ أمثال تلك، أجراها العلماء على الكلاب والشامبانزي، فاصبح الطبيب اليوم يستدل باعراض الجسد على مواقع الفساد في المخ فيشق الرأس حيث أصل الداء بلا حدس ولا تقريب، فجراحة الرأس لا تحتمل حدساً ولا تقريبا

الرأس ومناطقه الاربع المذكورة بالمقال

أنت نفسك تستطيع أن ترسم على رأسك خريطة تدلك على مواضع تلك المراكز. ابدأ بأصل أنفك عند ملتقى

الحاجبين ، وارسم خطا يمر بانتصاف جبهتك ويعلو إلى أعلى جمجمتك ثم يمتد خلفا إلى بصلة رأسك ، بعد ذلك نصّف هذا الخط ، واذهب نصف بوصة وراء هذا المنتصف ، ومن هذه النقطة ارسم خطين يميلان عن الخط الأول الى جانبي رأسك بزاوية قدرها سبعون درجة ، وبذلك تكون انقسمت الرأس الى خانات أربع ، ففي الخانتين الاماميتين توجد المراكز التي تهيمن على الحركة في الجسم ، وفي الخانتين الاخريين توجد المراكز التي تضبط الاحساسات التي يتعرض لها الجسد

ووراء جبهتك توجد مراكز التفكير ، فان كان هذا الموضع من رأسك عظيما فاعلم أنك مفكر كبير ، وإن وجدته في رأس عيرك صغيراً ضئيلا فاعلم عكس هذا من انه . وفي الانسان المستوحش وفي البسطاء تتراجع الجبهة إلى الوراء انضماراً لان هذا الجانب من المخ لديهم لا يستكمل نماه . ومن العجيب المستغرب ان هذه المراكز إذا أصابها تلف بخراج أو ساعة (١) بعض جانب آخر من المخ ليتولى التفكير مكانها

ولقد ورّث كثير من العبقريين رؤوسهم من بعد موتهم للعلم ليفحصها رجال الطب . من أولئك الكاتب الفرنسي الكبير أناتول فرانس ، كانت لفات مخه عظيمة وخلاياه السمراء كبيرة كبيراً غير عادي . كذلك لينين ، مؤسس الجمهورية الروسية وواضع البلشفة ، جزئ مخه ٢١٠٠٠ جزءاً ، فحصت جميعها . كذلك «ترجونيف» Turguenieff الروائي الروسي كان له مخ من أكبر الأمخاخ المقيسة ، كانت زنته أكثر من أربعة أرطال . ومع هذا فحجم الرأس ليس مقياساً دقيقاً مطرداً للذكاء ، دليل ذلك أن من الأمخاخ المعروفة مخين زاد وزنا عن مخ «ترجونيف» وكان أحدهما لأبله . واذا زاد مخ عن مخ فليس معنى هذا زيادة في عدد وحداته فالوحدات سوا وانما تزيد الوحدة عن أختها حجما ووزنا

وفي النصف الخلفي للرأس توجد مراكز الابصار ، فاذا نمت فيها نامية او أصابتها إصابة ، سببت العمى . ووجزء المخ المجاور للأذن يحكم السمع ، وأمام الجزء الأسفل لمراكز الحركة يوجد مركز الصوت ، فنحن نسمع الكلمات مقولة بجزء من المخ ، ونراها مكتوبة بجزء آخر ، ونقولها بجزء ثالث

واذا حدث اضطراب لأي من هذه المراكز ، حدثت أحداث غريبة . كان أستاذ يحسن اللغتين الاغريقية واللاتينية ، فأصيب في حادث بضربة على رأسه فلما أفاق واشتفى مما أصابه وجد أنه فقد اللغتين جميعا وعبثا حاولت أن تسترجع ذاكرته كلمة من أيهما ، وذلك ان خلايا مخه التي تختزنهما أصابهما تلف لا إصلاح له

وفي حادث آخر انسدّ شريان دقيق يحمل الدم الى بعض الخلايا المخية بمنطقة الابصار من رأس امرأة مثقفة ، وما أمسى الليل وانطلق النهار بالنور حتى وجدت هذه المسكينة أنها عجزت عن القراءة وأصبحت الكتب لا تحمل اليها من المعاني أكثر مما تحمله إلى الفلاح الأمي . كانت تنظر إلى الكلمة فتراها رسما لا صلة له باللغة . أصابها عمى الكلم وعلى هذا المثال يحدث صمم الكلم . تصاب الخلايا الخاصة به فيسمع المنكوب كل الأصوات ، ويسمع الكلمات ، ولكن خلوا من المعاني

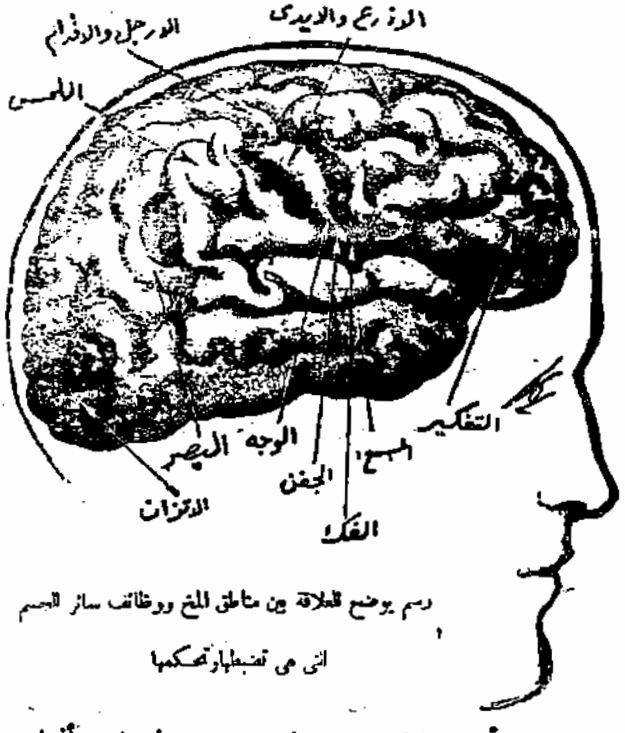

رسم يوضح العلاقة بين مناطق المخ ووظائف سائر الجسم التي هي تضبطها وتحكمها

ومنذ أشهر قليلة حدث حادث عجيب في «لوس أنجلس» بأمريكا الشمالية . فتاة مكسيكية دخلت مستشفاها العام للعلاج

(١) تورم غريب يظهر في الجسم Tumour

فقاس الأطباء فيما قاسوا درجة حرارتها فكانت ٣ و٤٣ والمعروف فى الطب ان درجة ٤٢ قاتلة . واستمرت هذه الحرارة عالية شهرا من الزمان . فحصها المختصون فأجمعوا على ان سلعة درنية نمت من مخها فى المنطقة التى تضبط درجة الحرارة فى الانسان فساء ضبطها

إن الجراح يستطيع اليوم أن يرسم خريطة للمخ كاملة تبين فيها خلايا المخ وما تختص به من وظائف أعضاء الجسم المختلفة فهو إذا اتاه مريض عرف من أوجاعه وأعراضه أى مناطق الرأس اختل فيذهب إليها قدُما فلا ينحرف عنها قيد إصبع

أذكر رجلا شفيناه من الصَّرع استهداء بتلك الخريطة كانت تبدأ الرَّجفة فى وجهه فعرفنا من هذا أن أصل الداء واقع بمنطقة الحركة بمؤخر المخ . وأردنا زيادة فى التحقق ودقة فى تحديد الموضع ، فخرقنا ثقبين فى مؤخر الرأس ، وغرزنا فى مادة المخ إبرتين جوفاوين ومصصنا من سائله بعضه ، ثم ملأنا الفجوة التى خلت بالهواء ، ثم أخذنا صورة سينيّة (١) أرتنا أن تلك الفجوة غير منتظمة وأن شكلها استطال فى ناحية وانبعج فى أخرى بسبب ضغط سلعة لم تتراجع مع مادة المخ تحت ضغط الهواء المحقون . بهذا الكشف الجديد تعرفنا على موضع السلعة حتى لكأنما رأيناها رأى العين ، ثم أزلناها

ويختلف حس المخ اختلافا كبيرا تبعا للموقع الذى يحصل الفساد فيه ، فقد لا تتعدى البثرة رأس الدبوس حجما فتحدث أعراضا مريعة هائلة ، ثم قد تبلغ فى موضع آخر قبضة اليد حجما قبل أن تحدث حدثا خطيرا

منذ أعوام جاءنى صديق يهوى لعبة التنس يشكو من ذراعه أنه لا يتجه بالكرة الجهة التى يريدها ، وأنه عبثا حاول استرجاع الاصابة التى كانت له منذ حين ، وهذه كانت كل شكاته . فامتحناه فتبين ان سبب ذلك سلعة بقدر البندقة فأزلناها وبذهابها رجعت إليه رمايته الأولى . رجل مبخوت هذا الصديق الذى نحن بحديثه ، فلولا ملاحظته الدقيقة لما فطن أحد إلى دائه الخبىء ، ولزادت سلعته حتى لشق استئصالها أو استحال . وقد أصبح أطباء العصر من أجل ذلك وأمثاله حريصين على تعرف السَّلَع فى المخ ولما تكن ، ويستفجل أمرها

منذ أعوام كانت جراحات المخ تُحتسب من العلل الوبيلة التى لا رجاء فيها ، وكانت جراحات المخ تنتهى بالموت بنسبة لا تقل عن ٨٥ فى المائة . أما اليوم فقد تحسنت طرقها وأحكم تفصيلها وجدَّ الطب فى استبانة عللها قبل أن تشب ، فزاد عدد الناجين من الموت الذى كان محققا بالأمس زيادة تطرد على السنوات

وقد ثبت أن ١٠ فى المائة من المجانين يختل صوابهم من جراء إصابات تقع لرؤوسهم . وقد ثبت أن رجالا محترمين موقرين استحالوا أشرارا مجرمين بسبب صدمة أو ضربة على رؤوسهم آذت أمخاخهم . ومن الغريب أن نتائج هذه الصدمات قد لا تظهر إلا بعد أسابيع من وقوعها . مثال ذلك أن رجلا من أهل السواد أصابته رصاصة ضلت سبيلها ودخلت من مؤخر رأسه ، فأسرعوا به إلى المستشفى ، وكان أول ما يعمل لفحصه بطبيعة الحال تصوير رأسه بأشعة س ، ولكن كان وقع بالمستشفى حريق فى أيام قريبة سابقة قضى على جهاز الأشعة ، فلم يجرؤ الجراح على سل مشرطه وهو لا يعلم موضع الرصاصة ، فتركت حيث كانت وتعافى المريض ظاهراً وغادر المستشفى ، ولكن بعد سبعة أسابيع أخذ بصره يضعف وآذن بالعمى ، فعاد إلى المستشفى فصوروا رأسه فتراءى لهم أن الرصاصة سارت فى المخ رويدا حتى حلت منه فى موقع الابصار ، ولما انتزعوها عاد إلى الكفيف بصره

وغير هذا ما حكاه السير وليم هوبلر ، الجراح الارلندى الشهير ، ذكر أن رصاصة دخلت رأس رجل وظلت هناك أربع سنوات حتى سكنت من المخ حيث تترابط الافكار فأصابت ذاكرته وبصره وسمعه ، وأخرجت فعادت اليه كل هذه جميعا

(١) بأشعة إكس أى س

القصص

نشيد الكرنك

للاستاذ محمد فريد ابو حديد

لقد كانت أياما مليئة بالحياة . جادها الغيث اذا الغيث همى

جلسنا بعد سير طويل عند مدخل البهو ذى الاعمدة ، وأخذ بعض الرفقة يطفون اوتار المزهر والكمان والعانون فترتفع مقاطعها المتآلفة المتناسقة بأحسن الانغام واطيب الالحان ثم تجاوبت الاصداء العجيبة من نواحى ذلك البهو الفسيح ، فاذا الجو حوله يطن بأمواج مختلفة القوة من أصوات عذبة ساحرة ، واستلقيت على مسافة من الجمع اذ كنت من أكثرهم تعبا ، ولكنى وأن عزيت عن الضجة والصخب لم تفتنى نفحات الموسيقى الحلوة وقد صفاها البعد ونقاها

وفيما انا كذلك اذا بى وقد تمثلت ذلك الهيكل منذ كان فى شبابه ، ورونقه ، وقد قامت فيه الاعمدة باسقة تحمل تيجانها النيلوفرية وتكسوها النقوش البديعة الذهبية ، وفى مداخلها المسلات النحيلة الرشيقة تلمع رؤوسها النحاسية فى ضوء الشمس المائلة الى الغروب ، ثم تمثلت منظر الهيكل يوم عيد عظيم وقد ازدحم بالكهنة يصطفون للقاء فرعون وهم ينشدون نشيد الترحيب والتكريم ، حتى اذا ما أقبل خروا الى الارض ركعا لابن الاله وسليل حوريس

فخيل الى وأنا وسط هذه التأملات ان ذلك الصوت المنبعث الى آذانى من موسيقى اصدقائى هو صوت هؤلاء الكهنة يتردد بين جدران المعبد القائم الجديد . وغرقت فى خيالى واذا بى وقد لف الظلام ماحولى . واذا بى ارى من خلال الظلام عالما سحريا عجيبا ينتشر من بين هذه الاطلال الهرمة :

رأيت (فرعون) مقبلا يحمل فى يمناه عصا مذهبة وعلى رأسه تاج تحف به من أسفله الحية الملكية

فخر الوقوف ساجدين وتعالت فى جنبات المعبد أصداء موسيقى بديعة للنشيد الملكى وألقى فى روعى ان معناه

لاح حورماخيس ملأ الارض بأنوار الصباح

يا ابن أوزيريس روحك الاقدس من روح بتاح

وكان (فرعون) نحيل الجسم قصير العود تعلو وجهه الاسمر صفرة كصفرة الترجسة الذابلة . ولما رأيته وتبينت ملامحه لم أملك نفسى ان صحت صيحة مكتومة قائلا . (أتعرف توت عنخ آمون ؟) اذ كان صاحب الصورة التى الفنا رؤيتها منذ كشفت المقبرة المشهورة .

وقد كان المنظر الذى حولى يدعونى الى الخشوع والرهبة ، غير أنى مع ذلك وجدت من نفسى كبراً أن أسجد لمخلوق ، فلم أسجد مع الساجدين ، وكنت أخشى أن يمسنى من ذلك سوء . غير أنى تعجبت إذ رأيت الحاضرين لم يزعجهم ذلك بل كأنهم لم يلحظوا شيئاً .

فتجرأت وقمت أسير وراء موكب الملك بين صفوف المقربين وهامات رجال الجيش وكبار الكهنة .

وسار (فرعون) فى سبيل مرسومة الى ان بلغ قدس الاقداس خلال الاغصان الملتفة والاوراق المتعانقة المتراقصة . كأنها الرقراق من جدول يجرى بعد الترويق ، أو النسيم يسرى من تعدد المسارب والثنيات ، فكانت اذ بلغتنى تتوارد هينة مصقولة

تصحيح

جاء فى مقالة (ملك البكلاه) المنشورة فى العدد الماضى ص ١٠٧ عمود ٢ سطر ٥ (تحليله وتقديره) والصواب (تخليله وتقديده) وفى ص ١٠٧ أيضا عمود ٢ س ١١ (٠ و٧٥) والصواب (٤٠ و ٧٥) وفى ص ١٠٨ ع ٢ س ١ (متحفوة صغيرة ومن الطرايات) والصواب ومن الطحالب .

فتخلف عنه القواد وستجدوا إيذانا بالوقوف عند حد الحرم الممنوع، ولكني دخلت وراء الموكب ولم يبق فيه الا الملك والكاهن الأعظم وبعض كبار الكهنة يحملون فى أيديهم هدايا الملك الى إله طيبة الاعظم (آمون) . فلما أن بلغوا المذبح وضعوا ما بأيديهم وانحنوا إجلالا ، ثم وضعوا البخور فى المجامر وعلا صوتهم بنشيد قدس الأقداس :

آمون بارك سليل العلا ومن فيه يجرى دم الاقدسين .

ولكنهم وقفوا حيث انتهى بهم السير، ودخل الملك وحده الى الحرم الاقدس يتبعه الكاهن الاعظم ، فترددت قليلا ثم عاودتنى الجرأة فسرت وراء الملك الى قلب ذلك المكان المحرم، ولكنى عجبت اذ لم يمنعنى أحد ولم تلتفت الى عين . ولقد راعنى الامر وهالنى مخافة أن أكون أقدمت على انتهاك حرمة جزاء الاعتداء عليها الهلاك . فقد كنت أعرف ان ذلك الحرم لا يحل دخوله الا للملك ولرئيس الكهنة ، وان الموت هو العقاب لمن يدخله من غيرهما . غير أنى مع ذلك لم ألو على شىء ، بل سرت قدما وسط الظلام الدامس الذى لا تضىء فيه الا ذبالة ضئيلة فى زجاجة حمراء لا يكاد الانسان يتبين فيها إلا أشباحا كانها الظلال المتحركة

ولما صار الملك هناك وحده مع الكاهن ، أقول وحده لأن كل الادلة تدل على أنه لم يلحظ وجودى — استلقى على مقعد استلقاء المجهد السقيم وأن أنة المتوجع المكلوم.

وسمعت صوت الكاهن الهادىء يخترق ذلك الظلام بنبرات خفية متزنة ولست اذكر التفاصيل ولكنى كنت افهم ما أسمع بالهام عجيب : قال (أى بنى ! شملتك رحمة آمون)

فصاح الملك صيحة مكبوتة (ايها الشيخ ! نحن هنا وحدنا)

فقال الكاهن (أعرف ذلك ولهذا أطلب لك رحمة آمون)

فقال الملك بالصيحة ذاتها (ليتنى كنت لا أعرف ! ليتنى كنت أستطيع أن أصدق !)

فقال الكاهن (اى بنى ! انك لازلت شابا وقد يغتفر للشاب أن يشك احيانا)

فصاح الملك (اشك ؟ انى لا اشك . إنما أدلى عن حقيدة . فماذا يكون لتمثال مصنوع من الذهب فى قلبى من الاحترام ؟)

فقال الكاهن بلهجة مرة (ولكنك ملك .

واذا كنت لا تستطيع ان تصدق فعليك ان تصدق .)

فقال الملك محتدا (ماذا أصدق ؟

هل أصدق أن آمون إله يرحم ، أو جبار ينتقم ؟ نحن هنا وحدنا فلا بأس أن تقول الحقيقة مجردة ليس آمون هو الذى يتطلب منى الايمان والخضوع بل هو (آى) الكاهن الأعظم وليس هو آمون الذى يرضى ان يسخط بل هم الكهنة الذين يحملون رمزه ويقومون على سدانة تمثاله الأخرس . هم كهنة آمون الذين يطاعون منى الخضوع والعبادة) فقال الكاهن بهدوء (ثم ماذا ؟) فقال الملك (ومع ذلك فقد كنت صريحا مع نفسى ورضيت بتغيير اسمى من (توت عنخ آتون) الى (توت عنخ آمون) فتركت الاله القادر الواحد وآمنت بالله مزيف وانا عالم بانى إنما أومن بإله مزيف لكى أضل وأزيف

فقاطعه الكاهن وقد غلب الغضب على هدوئه وسخريته المرة قائلا :

« حسبك ياساكاى ؛ فصاح الملك « ساكاى ! »

فاجاب (آى) « نعم ساكاى . انك لا تمت الى الملوك الا بصلة النسب والاعتقاد . وقد بطل ذلك الاعتقاد الفاسد فى إلهك (آتون) منذ مات ذلك المجرم الذى كان يحكم فى (آخاتاتون) واما علاقة النسب فمن السهل البحث عن علاقة اقوى منها وأجدر بالملك »

وعند ذلك لاح شبح الملك وهو ينهض غاضبا ويرفع رأسه متحديا . ولكنه لم يقل كلمة واحدة بل بقى واقفا وصدره يزدحم بانفاسه . ونهض الكاهن كذلك ووقف امامه واستمر فى قوله، وكان فى حماسته يحرك رأسه ولحيته الطويلة بشىء من العنف ويرفع رأسه عاليا مع ما فى ظهره من انحناء الشيخوخة : قال « لا تغضب من الحق، وان شئت ان تغضب ففكر فى العاقبة قبل ان تخطو فى سبيلك خطوة واحدة . انى احذر . انى انذر . والبلاد كما ترى فى أشد حالات الاضطراب والفوضى . وقد صارت كالنسر المجرد من ريشه او الأسد الذى قلت اظفاره . »

فعاد الملك الى مقعده وأن أنة أخرى اعمق من الأولى واشد مرارة ثم استمر الكاهن فقال :

« ومع ذلك فاسمع قصة قصيرة قد تكون مغنية عن قول كثير. انا نحتفل اليوم بعيد اختيار آمون لجد زوجتك الملكية ، الملك تحوتمس الثالث . ولقد كان ذلك الملك العظيم كما تعرف غير مرشح للملك لأنه ابن حظية لا تجرى فى أمه دماء الآلهة . ولكن آمون رضى عنه ومال اليه فى أول دورة، ووقف أمامه فى يوم احتفال كهذا : فاظهر بذلك ارتياحه اليه وصار الملك من ذلك اليوم اليه، فنحى أبوه عن الملك وتنحى أخوه بل لقد تنحت اخته نفسها وهى التى تجرى فى عروقها دماء الآلهة . اتعرف ، هذا ؟ »

فتمتم توت عنخ قائلا « نعم . اعرفه » فقال الكاهن « واذن فلك الخيار . سأقول اليوم كلمتى اذا ما خرجنا من هنا على مسمع من

ورجال الدولة والكهنة والامراء . واذا شئت فارفض ماأقول »

قال هذا ثم نهض رافعا رأسه واتبعه الملك الصغير مطاطئ الرأس حزينا ولما مر (توت عنخ) على مقربة مني وقعت على وجهه شعاعة من ضوء الدبالة فاذا على وجنته دمعة تترقرق وتلمع في الضوء الخافت

ولما بلغ الكاهن الاعظم مكان المحراب عرج عليه لكي يؤدي فرضا من الفروض المرسومة والقى بعض البخور في المجامر المتقدة ثم سار وراء الملك حتى بلغا الفناء الفسيح في وسط الهيكل، وكان هناك الحشد الحافل من أهل الدولة والكهنة والقواد والامراء. فخروا جميعا للاذقان سجدا يتلقون الملك والكاهن الاعظم، ثم جلس الملك على عرش منصوب في الصدر ، وقام الكاهن الاعظم فألقى كلمة قصيرة قال فيها :

« أيها القواد العظام والامراء الكرام ! لقد دخل الملك العظيم ابن الآلهة الى قدس الأقداس وتجلت له اسرار آمون وظهر من ايمانه وبره ماجعل إلاله العظيم يتجلى له . ولكن تجلي آمون للملك العظيم . فالشكر لآمون »

فسجد الجميع ،مرة اخرى. وقام الملك سائرا نحو الكاهن الاعظم. وكانت خطاه مترددة مضطربة . ثم قال بصوت مختنق متهدج « المجد لآمون » فعلت عنا ذلك ضجة من الجمع الخاشع كأنها ضجة التهليل والتسبيح .

وارتفع صوت الكهنة بنشيد الملك :

(لاح حود ماخيس ، يملأ الارض بأنوار الصباح) ثم حول الكهنة تمثال آمون الذهبي وداروا به حول الفناء أمام الحضور حتى أتوا أمام عرش الملك فوقفوا وأقبل التمثال محمولا على الاعناق لكي يبارك الملك المحبوب المؤمن

لقد تجلى آمون (لتوت عنخ) ورضي عنه لما في قلبه من الايمان، وقام الملك بعد ذلك يتعثر في مشيته وقد زاد وجهه شحوبا على شحوبه وغارت عيناه وترددت فيهما قطرات تكاد تعشيهما . وعند ذلك علا صوت الكهنة مرة أخرى بنشيد

« آمون بارك سليل العلا »

فتجاوبت به الاصداء بين جدران المعبد وتماوجت نغماته كأن يصنعها يفنى كما تفنى الموجة اذا انتهت دائرتها وبلغت مداها وتجددت من أعقابها موجة أخرى لا تلبث أن تبلغ مداها

وعند ذلك انجلى الظلام وأسفر المنظر فاذا باخواني ينشدون نشيدهم على آلات الكمان والعود والقانون . واذا بي لازلت منتحيا منهم ناحية راقدا على جانب حجر مكتوب الصفحات .

محمد فريد ابو حديد

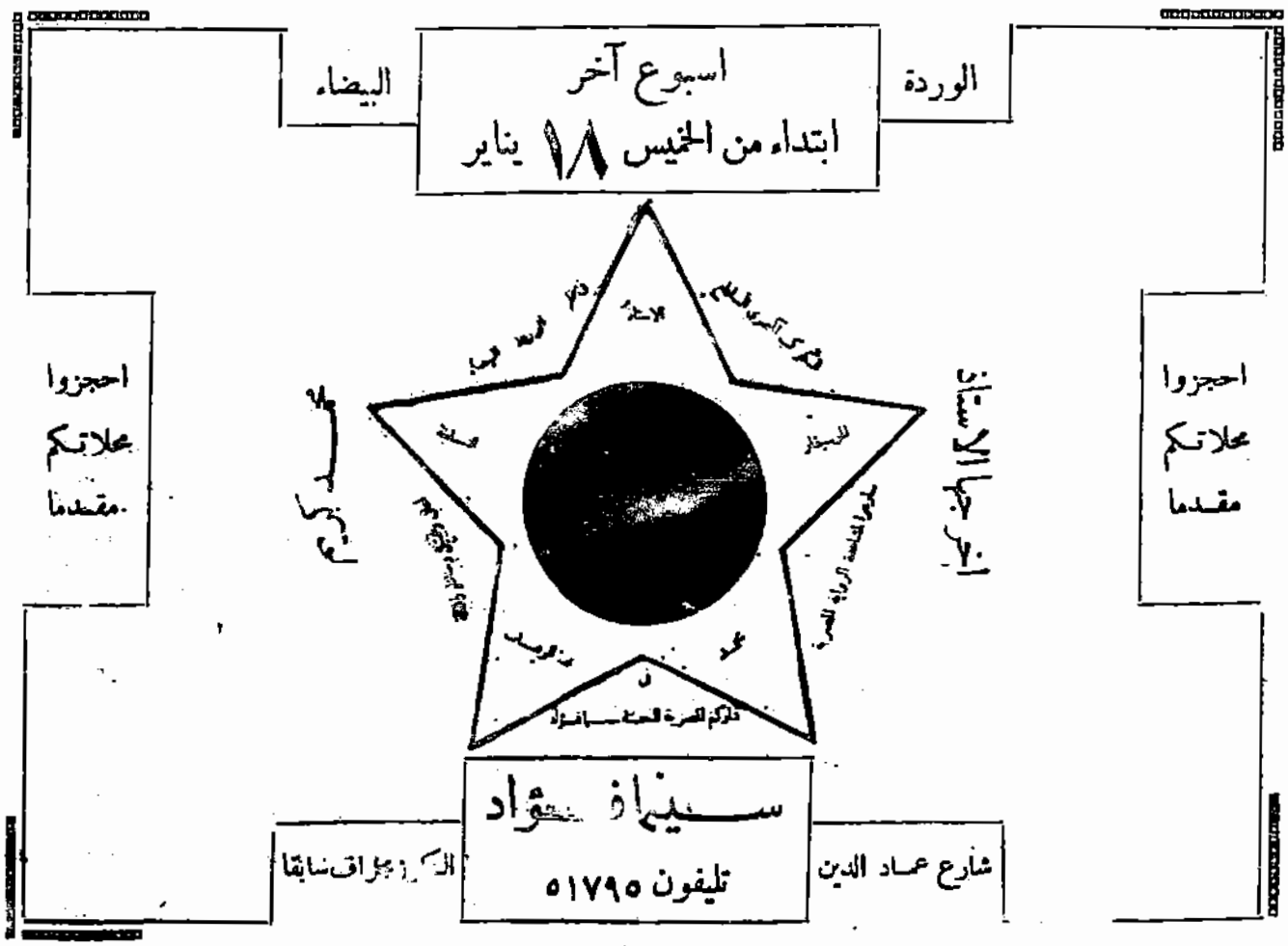

من أحاديث العيد

(بقية المنشور على صفحة ٤)

اليوم الثقيل الذى شيعت فيه فقيدين عزيزين فى أقل من ساعتين .

بهذا وأمثاله كنت اتحدث الى نفسى أيام العيد ، فاذا سألتنى عما كنت اتحدث فيه إلى الناس وعما كان الناس يتحدثون فيه الى حين كنا نلتقى ، فيالليؤس ! ويالفقر ويالشقاء ! ويالجدب الحياة وافلاس الاحياء ، كنا نتحدث عن الازمة المالية ، وكنا نتحدث عن السياسة ، وكنا نتحدث عن غدو المندوب السامى مع الطير يوم العيد ومايحيط بغدوه ذلك من اسرار واخبار ومن تاويل وتعليل . ثم كنا نتحدث عن بعض هذه الاشياء الممتازة التى ظفرت باحاديث الناس وشغل الصحف وعناية رجال الامن : كنا نتحدث عن ذلك الخاتم الذى اضطرب له رجال الامن وعطلت له دار من دور التجارة ، واتصل حوله تحقيق طويل دقيق ولم تبح صحيفة مصرية عربية او غير عربية لنفسها ان تعرض عنه أو تطوى اخباره عن قرائها ، ثم اصبح الناس يوم العيد فاذا الصحف تنبئهم بأن سيدة قد التقطته أمام مدرسة من المدارس فظنت جوهرة من الزجاج ولم تعلم انه حجر نفيس ، وان مدينة القاهرة مضطربة له اشد الاضطراب ، وان قيمته تربى على الف من الجنيهات . وكنا نتحدث عن هذا الدبوس الذى افتقدته صاحبته فلم تجده ، فارتاعت لفقده وهمت وهم أصحابها أن يقولوا قصة كقصة الخاتم ، ولكن شابا لم يلبث أن التقطه فرده الى صاحبته ، فلم يضطرب رجال الامن ولم يحتج رجال التحقيق الى النشاط ، ولم تزد الصحف على أن روت الخبر رواية يسيرة قصيرة فى مكان غير ظاهر ولا ممتاز . وكنا نقارن بين قصة الخاتم وقصة الدبوس وبين حظ الخاتم وحظ الدبوس . وكنت أقول لاصدقائى وهم يتسمون ويضحكون ويتفلسفون : على رسلكم أيها السادة ، فلو قد سألتم ذلك الخاتم أو هذا الدبوس عما يعرفان من التاريخ ، ولو قد أراد الخاتم وأراد الدبوس أن يقصا عليكم بعض ما يعرفان لما ابتسمتم ولا ضحكتم ولا أغرقتم فى الفلسفة هذا الاغراق . فليست قيمة الخاتم والدبوس فى هذه الجنيهات التى تربى على الالف أو تبلغ المئات فحسب ، ولكن قيمتهما فيما يحملان من ذكرى وما يصوران من حياة ، وفى هذه الصلة التى تصل بينهما وبين القلوب والنفوس . قال صديق ما كر : حدثنا اذن عن خاتمك الذى فقدته ، فقد يظهر أنك فقدت خاتما أيضا وان أمره قد ارتفع الى رجال الشرطة ثم هبط الى الصحف ثم ذاع بين الناس . قلت وانك لتحدث عن هذا الخاتم هازلا كأنما تغض من أمره وتزدريه ، فهل تعلم انى حزنت عليه حزنا شديدا ! وهل تعلم انه ليس أقل خطرا ولعله أعظم خطرا عندى من ذلك الخاتم وهذا الدبوس ؟ وهل تعلم انه يمتاز من ذلك الخاتم وهذا الدبوس بأن له فى الحياة المصرية العامة أثرا باقية ، به أصبح قوم دكاترة . وبه أدرك قوم آخرون اجازة الليسانس ، وبه صرف كثير من امور الدولة ، وقضى فى مصالح كثير من الاساتذة والطلاب أعواما ، فحدثنى أين يقع من هذا كله اثر ذلك الخاتم وهذا الدبوس فى حياة المصريين ؟ ومع ذلك فلم تبلغ قيمته ألفا ولا مائة ، ولا عشرة من الجنيهات ، استغفر الله ، بل لم تبلغ قيمته عشره من القروش ، وانما كانت قيمته قرشا ونصف قرش ليس غير ، اتخذته حين كانت الاشياء رخيصة ، فى ذلك الزمن ، الذى كنا نستطيع أن نبلغ فيه بالقرش كثيرا من المآرب والحاجات ، اتخذته فى باب الخلق ، وأنا خارج ذات يوم من دار الكتب ، وكنت فى الرابعة والعشرين من العمر ، وكنت أريد أن أسافر الى أوربا ، وأظهر لى هذا السفر أنى شخص من الاشخاص ، يجب أن أذكر مولدى ، وأعرف سنى ، وأقدر ما آتى من الاعمال ، فى ذلك الوقت بحثت عن شهادة الميلاد وكانت ضائعة ، فعرفت سنى وكنت أجهلها ، وفى ذلك الوقت قيل لى إن من أتى عملا أو قال قولا وجب عليه أن يمضيه ، فاتخذت هذا الخاتم ، صنعه لى رجل كان يصنع الخواتم قريبا من المحافظة ، ثم عبر معى البحر ، وصحبنى فى فرنسا طالبا ، وصحبنى فى الجامعة استاذا ، عمل معى فى أعمال الدولة ، وامضى معى عن امور الدولة ، وكان صديقا أمينا ، لست أدرى ، كيف قبلت فراقه حينا ، وائتمنت عليه صاحبى ، حتى أقبل ذات يوم ينبئنى أنه افتقده فلم يجده ، هنالك ضقت به وضقت بالناس ، وضقت بالحياة كلها وتناثر قصير ، ثم زعم لى زاعم أن الامر يجب أن يرفع الى الشرطة فرفع اليها ، وهبط الى الصحف ، ولكن الشرطة تلقت أمره باسمة ، ولكن الصحف نشرت امره مداعبة ، ولمن الاصدقاء تحدثوا عنه مازحين ، أفرأيت ان قيم الاشياء تختلف لا باختلاف آثارها ، ومكاناتها ولكن باختلاف اصحابها ، فلو كنت رئيس الوزراء ، لما ابتسم الشرطى ، ولما داعبت الصحف لانى فقدت خاتما ، ولكنى لست رئيس الوزراء ، فيبسم الشرطى ، ولا يأتى حركة وتداعب الصحف ، وتمزح انت وتمزح انا بهذا وأمثاله ، كنا نتحدث ايام العيد ؟

طه حسين